روايات تيوليب للجيب
(٥) حارسة القصر
ميرفت البلتاجي

روايات تيوليب، العدد الخامس
حارسة القصر... ميرفت عبد المعبود البلتاجي
الطبعة الأولى: ديسمبر ٢٠١٤
تصميم الغلاف : م. دعاء عبد اللطيف
تنسيق وتدقيق لغوي : رباب الشهاوي
المدير العام : رباب الشهاوي
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠١٤/٢٦٢٠٧

سلسلة تيوليب عربية مائة في المائة ولا تشوبها شبهة الترجمة أو النقل. تصدر بشكل دوري عن دار الفؤاد للنشر والتوزيع.

Alfouad_publishing@hotmail.com





روايات تيوليب للجيب

(٥)

حارسة القصر

ميرفت البلتاجي



إهداء

إلى كل أنثي تقرأ هذه الرواية

اقرئيها بقلبك، وصدقي أن للرومانسية وجود، حتى ولو

أنكرها علينا جنس الرجال . . .

عيشي لحظات بين صفحاتي وانفصلي عن الواقع . . وتمني يوماً

تحصلين فيه على نصيبك منها . . . ولو بين صفحات رواية .

ميرفت البلتاجي



(١)

تواقة للحب والرومانسية.. كأي أنثى نظرت في مرآتها وأدركت أنها لم تعد طفلة بعد الآن..

أخذت تشرأب على أصابع قدميها وبعنقها لتنظر من نافذتها، علها تلمحه غادياً أو آتي.. إنه هو.. ذلك الفارس.. فارسها وحدها وربما سيأتي ذلك اليوم الذي تجده فجأة أمامها وبدون أي مقدمات.. ووقتها ستدرك أنه هو نصيبها من الدنيا ولن تتركه أبداً، فهو من انتظرته كل هذه السنوات.. منذ ذلك اليوم الذي أدركت فيه أنها أنثى تبحث عن وليفها.. نصفها الضائع، وقد وجدته. وبكل شوق السنين، والشهور، والأيام تفتح ذراعيها وكل غرفات قلبها لتستقبله بكل لهفة وحب..

ولكن فجأة سقطت الحالمة من فوق سحابتها الوردية على واقعها المؤلم.. ففارسها لم يأتِ بعد.. والأدهى.. أنه لم يُدرك بعد أنه نصفها الضائع.

****

كان صباحاً جميلاً.. حين سقطت أشعة شمس مارس من النافذة، ورغم الستائر الحريرية التي تعمل كساتر من أشعتها الحادة.. فقد وصل ضياؤها حتى داعب وجه تلك النائمة وسط غيمة كثيفة من الشعر العسلي الغامق..

فتحت عينيها الزرقاوين، ثم جلست على فراشها تحدق بنافذتها وابتسامة غريبة تداعب ثغرها الوردي العذري. أزاحت الغطاء، وراحت تخطو نحو النافذة لتزيح الستائر، وتترك الحرية لأشعة الشمس ونسمات الصباح الناعمة لتغزو غرفتها.

تطلعت إلى الحديقة الفسيحة الغناء أمامها.. لوحت بيدها لتحيي من بعيد قصراً مهيباً يتحدى الزمن بشموخ وعظمة، ولم يكن منظر هذا القصر هو ما رسم تلك الابتسامة على شفتي تلك الحسناء، بل هي رسالة غريبة جاءت بها شمس الصباح وهي

تداعب حمرة وجنتيها، وهمست لها أن اليوم لن يمر كأي يوم من حياتها الماضية، فهو سيكون مميزاً بشكل أو بآخر.
نهضت بنشاط وحيوية من فراشها واغتسلت، وبعد أن تناولت طعامها على عجل، وقفت تتطلع في مرآتها وبابتسامة مشرقة تمتمت لنفسها 'لطالما وثقت بحدسي.. يبدو أنني اليوم سألتقي به أخيراً!!'
لملمت شعرها المرسل حتى أسفل خصرها ثم عقدته بإحكام دون أن تفارق الابتسامة شفتيها، ثم تناولت قبعة غريبة الشكل أحكمتها على رأسها، لتستوعب شعرها الكثيف دون أن تُظهر منه خصلة واحدة.. نظرت برضا لمظهرها بعد أن ارتدت ثيابها الفضفاضة المعتادة.. قميص أبيض فضفاض أشبه بالقمصان الرجالية، أسفله تنورة متعددة الثنيات لتختفي آخر معالم أنوثتها. ازدادت ابتسامتها اتساعاً عندما أخفت زرقة عينيها البحريتين بنظارات طبية ضخمة.
تلفتت يميناً ويساراً ثم حملت حقيبتها الشبيهة بمخالي جنود الجيش، والتي لم تتسع لكل كتبها فحملت الباقي بين يديها.
غادرت كوخها الصغير الذي احتل زاوية صغيرة في حديقة القصر الواسعة، وأطلت بنظرة عامرة بالتفاؤل على القصر مرة أخرى ثم تمتمت لنفسها.. 'لقد اقترب الموعد يا قصري العزيز، وحالاً سيبدد أولادي صمتك بصخبهم'. ثم استقلت سيارتها الصغيرة تقودها برضا تام حتى مقر عملها.
أسرع بواب المدرسة بفتح البوابة على مصراعيها وهو يحييها باحترام: "صباح الخير.. يا آنسة (جيدا)".
ردت بحبور: "صباح الخير.. عم (هارون)".
لحق بها بعد أن أغلق البوابة وهم بمساعدتها بحمل أثقالها عنها:- "دعيني أساعدك يا آنسة".
امتنعت عن قبول طلبه بعناد:ـ"عم (هارون) كم من مرة

سأخبرك؟"
غمغم متفهماً بضحكته الخالية معظمها من الأسنان :ـ" نعم .. نعم..أنت لا تحبين أن يلمس أحد كتبك الثمينة..أنت لا تتغيرين أبداً منذ بدأت عملي في المدرسة من عشر سنوات، وحتى اليوم.. بارك الله فيك يا ابنتي".
قاطعته بضحكة ناعمة:ـ "هل وصل المدير بعد؟"
رد مستنكراً:ـ "حاشى لله أن يصل أحد قبلك يا آنسة.. لم ولن تحدث.. وبمناسبة الحديث ها قد وصل مديرنا".
ـ "أسرع إذاً وافتح له.. قبل أن يجد سبباً مبكراً ليصب جام غضبه عليك".
ضحكت وهي تراه يهرول مبتعداً، ثم تابعت طريقها إلى غرفة المعلمين.
كانت كعادتها أول الوافدين.. حتى عندما كانت طالبة في المدرسة، وبعد أن أصبحت معلمة فيها... لم تغادر بلدتها التي ولدت فيها إلا سنوات الجامعة. عادت بعدها، على عكس معظم زميلاتها اللاتي اتهمنها بالجنون لعودتها تدفن نفسها في هذا الجحيم الأخضر.. كما أطلقوا عليه؛ بينما فضلن عنه الحياة الصاخبة في الغابات الحجرية.. كما أطلقت هي على حياة المدينة.
رفعت رأسها عن كتابها الذي كانت منهمكة في قراءته باستياء عند سماعها لتلك الضحكة المتهكمة وصوت صديقة عمرها الضاحك يبدد ما تبقى من تركيزها:ـ"بالله عليك يا (جيدا) كيف تفعلين ذلك؟"
سألت ببراءة:ـ "أفعل ماذا؟!"
اقتربت صديقتها للمكتب وألقت ما تحمل من كتب ودفاتر بتنهيدة راحة كمن أزاح حملاً ثقيلاً عن كاهله، ثم جلست على المقعد المقابل لصديقتها تحدق فيها بنظرات هي مزيج من الغيظ

والتفكه :-" أتعنين أنكِ لا تعرفين أنني ومنذ أيام المدرسة وأنا بانتظار ذلك اليوم الذي تتأخرين فيه.. ولو ساعة واحدة فقط! وأحياناً أطمع بأن تتغيبي ولو يوماً واحداً.. ولكنكِ على عهدك ولم تتخلفي يوماً عن روتينك اليومي هذا.. وكأنك ساعة حجرية لا تتأخر ولا تتعطل! حتى ملابسك الغريبة هذه، قبعتك السخيفة وملابسك الفضفاضة، ونظاراتك البشعة التي تلتهم ما تبقى من معالم وجهك حتى أصبحت وكأنك أحد أثار بلدتنا الصغيرة!"
أخذت نفساً عميقاً لتنهي بنظراتها ما عجز لسانها عن البوح به.
ضربت (جيدا) بطرف القلم على أسنانها البيضاء المستقيمة:-"عزيزتي.. لم تخبريني بعد.. ما الذي يضايقك بالضبط في هذا الصباح الجميل أكثر؟ حضوري المبكر؟ أم ملابسي وقبعتي السخيفة؟"
ردت الصديقة بحنق:-" هذا وذاك.. و.. أووووف.. (جيدا).. متى تستقرين وتتزوجين يا صديقتي مثلنا جميعاً؟ أنت الوحيدة من دفعتنا التي ما تزال تراودها أحلام الفارس المجهول.. حتى أصبح عمرك ستة وعشرون عاماً".
هتفت (جيدا) بثقة أدهشت صديقتها:- "سيأتي يا (ليان).. سيأتي أشعر بهذا."
صاحت (ليان) باتهام:-" وهل تحضرت لقدومه؟ ألا تخشين فراره رعباً فور أن يرى عروس أحلامه تبدو كعروس فرانكنشتاين؟"
ضربتها (جيدا) على يدها باستنكار:-"أنا لست بهذا القبح".
هزت (ليان) رأسها بإصرار:-"أنت هذا القبح بعينه!! هل أصاب مرآتك حادث مؤسف مؤخراً؟!"
هبت (جيدا) مدافعة بتهكم:-" لا تنكري أن ملابسي وقبعتي السخيفة عززا من فرص زواجك أنت وكل بنات دفعتي".
احمر وجه (ليان) واندفعت باستياء متذكرة:-" أتعنين في تلك

الأيام الغابرة التي كان الفتيان فيها يتهافتون عليك كالذباب على طبق العسل؟"
هزت (جيدا) رأسها:ـ" نعم.. وتسبب هذا بخصامكن لي دون ذنب اقترفته".
هتفت (ليان) ساخرة:ـ"آه.. حمداً لله.. وشكراً لك.. لقد تزوجنا كلنا ولم يتبق إلا طبق العسل.. أما آن الأوان أن تحرري ذلك الشعر وتظهري روعة قوامك ليتذكر الرجال أي نعمة سيفتقدون؟"
ردت (جيدا) بتذمر:ـ" لا تتفاخري بنفسك.. قراري هذا لم يكن خالياً من الأنانية تماماً.. كان معظمه في الواقع لمصلحتي الخاصة. أردت التأكد من مشاعر أي رجل يطلب ودي، لأعرف إن كان صادقاً في مشاعره، أم أنه مجرد مفتون بشعري وجسدي... الرجل الذي سيحبني على هيئتي سيحبني للأبد".
صاحت (ليان) حانقة:ـ" ويا لها من مكافأة بانتظاره!! بالإضافة طبعاً للكوخ الحقير الذي تسكنين فيه.. أهذا أيضاً من ضمن خططك المذهلة لاصطياد عريس حسب المواصفات؟ هل تصدقين أن الأولاد في المدرسة يطلقون عليك لقب حارسة القصر؟!"
غمغمت (جيدا):ـ" نعم.. أنا عززت الفكرة لديهم، عندما لم يصدقوا أنني مالكته فعلاً. وبكل سهولة اقتنعوا أنني حارسته، وأنني مجرد قريبة فقيرة لمالكة القصر الحقيقية".
شهقت (ليان):ـ" هل أنتِ مجنونة؟ ولم السؤال؟ أنتِ فعلاً مجنونة!! لماذا لا تعيشين فيه، بدلاً من جحر الفئران الذي تفخرين به؟"
تنهدت (جيدا) بصعوبة:ـ" كوني واقعية يا (ليان) ، كيف أعيش بمفردي في قصر يحوي عشرون غرفة؟ عندما يأتي فارسي سأنجب له من الأولاد ما سيعيد الحياة لجدرانه النائمة بصخبهم وضحكاتهم وبكائهم".

تساءلت (ليان) كاتمة سخريتها:-"وكم عدد الأولاد الذين تفكرين بإنجابهم لملء كل هذه الغرف الخاوية؟"
هزت (جيدا) أكتافها:-"لا أدري حقاً.. ولكن أظن الكثير، طالما أنني لن أكف عن حبه وهو لن يكف عن عشقه لي".
مدت (ليان) لتمسك بيد صديقتها بملامح جادة كأنها تواسيها:-"(جيدا)..أكره أن أكون أول من يخبرك بهذه الحقيقة.. ولكن بعد زواجي من (رؤوف) وإنجابي لثلاثة من الشياطين الصغار، أصبح لدي من الخبرة الكافية لأصرح لك بضمير مرتاح.. ليس بالحب وحده يحيا الإنسان يا عزيزتي".
أصرت (جيدا) على موقفها بعناد:-" هذا لأنكِ سمحتِ لضغوط الحياة أن تبعدك عن (رؤوف)، وكذلك هو أخطأ نفس الخطأ... أما أنا فحبي لفارسي وحبه لي سيكونان دائماً فوق أي خلافات أو ضغوط".
رددت (ليان) بنبرة ساخرة:-" حبك له.. وحبه لك؟! كم اشتقت لرؤية فارسك هذا".
تمتمت بصوت حالم:-" سيأتي يا (ليان).. أشعر بهذا. لقد اقترب وصوله".
همهمت (ليان) محدقة بصديقتها:-" هل هي بهذا الجمال يا (جيدا)؟"
:-"ما هي؟"
:-"غيمتك الوردية التي تطفين فوقها وكأنك لست من هذا العالم!"
هزت (جيدا) رأسها باستخفاف معيدة النظارات فوق أرنبة أنفها وفتحت كتابها ليستولي على اهتمامها مرة أخرى:-" لن تعرفي أبداً".
ردت (ليان) مغمغمة دون أن تسمعها:-" وأنت أيضاً أيتها المسكينة- كما يبدو- إلا بعد درس مؤلم سيسقطك عن غيمتك

الوردية أرضاً".
بدأ اليوم كأي يوم دراسي آخر، وفي نهايته كانت قد أُجهدت تماماً..غادرت المدرسة تحلم بحمام دافئ تغسل به آثار اليوم.
أمسكت بمقبض باب سيارتها تهم بفتحها عندما أوقفها الصوت اللاهث:-"آنسة (جيدا)..آنســ...".
التفتت لتطالع محدثها اللاهث:-"أستاذ (مهاب)..على رسلك.. هل جئت راكضاً؟"
:-"لا..أقصد..نعم..خشيت ألا ألحق بك."
غمغمت تهز رأسها بطيف ابتسامة مكتومة:-"ماذا تريد يا (مهاب)...هل أستطيع خدمتك بشيء؟"
مسح العرق الغزير عن جبهته مردفاً بنظرات ذات مغزى لم تخف عليها:-"في الواقع..أنا الذي أعرض عليكِ خدماتي.. منذ فترة طويلة لم تدعني لقصرك لأساعدك في حديقة القصر".
هزت رأسها متفهمة، ف(مهاب) أحد أصدقائها القدامى..والذي كان دائماً مبهوراً بقصرها..هذا أحد الأسباب الرئيسية في رفضها الزواج منه.
ردت بلهجة قاطعة ولكن لطيفة:-"(مهاب)..تعرف أنني أجيد العناية بحديقتي بنفسي، ولكن شكراً على عرضك".
غمغم بنبرة ألم:-"تعرفين أنني لم أحب سواكِ يا (جيدا)".
:-"هاي أنتِ يا حارسة القصر.. هل ستقليني في طريقك؟ أم أبحث لي عن وسيلة أخرى أعود بها لبيتي؟"
التفتت إلى صديقتها التي كانت قد جلست في السيارة بالفعل، فاعتذرت من محدثها بارتباك، وعلى الفور انطلقت بالسيارة. ما إن ابتعدتا بشكل كاف حتى انفجرتا في الضحك قبل أن تتساءل (ليان) من بين ضحكاتها:-"ألم ييأس ذلك الرجل؟ منذ كنا في المرحلة الثانوية وهو يحوم حولك بنفس الطريقة، أظنه يحلم كل ليلة بالنوم تحت سقف قصرك الأثري هذا".

تنهدت (جيدا) قائلة بجدية:ـ"هل أدركت الآن أهمية ألا يعرف الناس أنني مالكة القصر؟ (ليان) .. أستأذنك لحظة، سأتوقف عند مكتب البريد لأسأل عن بريدي الأسبوعي".
:ـ"أسرعي..وإلا استدعى (رؤوف) المطافئ للبحث عني".
:ـ"لن يستغرق الأمر ثوان".
عادت بعد لحظات حاملة رزمة من الرسائل:ـ" هل تأخرت؟ أووه.. ما هذه الرسالة؟ يبدو أنها من ذلك المحامي اللجوج الذي لا ييأس.. تباً يا له من حقير".
وضعت الرسائل جانباً وانطلقت بالسيارة فسألتها (ليان) بتعجب :ـ"لم أعلم أن لك معجبين غير (مهاب)".
رددت (جيدا) بدهشة:ـ"معجب؟! آه.. تقصدين ذلك المحامي؟ إنه ليس معجباً بي وإنما بقصري، لن تصدقي المبلغ الذي عرضه لشرائه!! لن تتخيلي.. ولكنه مبلغ من ستة أصفار".
قفزت (ليان) من مقعدها:ـ" أيتها المجنونة المعقدة.. لا تقولي إنكِ رفضت.. لا تصدميني أرجوك".
لم ترد..بل اكتفت بهز أكتافها باستخفاف.
فأردفت (ليان):ـ"وكأنكِ أميرة القصر التي تنظر للنقود وكأنها مجرد أوراق تدوسها بقدميها!! (جيدا).. ذلك القصر الخرب يتداعى ولا يساوي ربع المبلغ المعروض.. أنت بحاجة لمعجزة ليصمد عاماً آخر".
غمغمت (جيدا) بأسف:ـ"نعم..هذه مشكلة أخرى، ولكني لا أتصور أي مخلوق يملك بيتي.. المكان الذي ولدت به، وكل عائلتي عاشت وماتت فيه، ولابد أن يولد أبنائي فيه.. هذا القصر يا (ليان) هو كل ما تبقى لأولادي من مجد زائل.. أتريدينني أن أحرمهم منه؟"
:ـ"حسناً يا حارسة القصر..أنزليني الآن لأحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه من بيتي بعد كل هذا التأخير بسببك. لابد أن (رؤوف)

يصرخ طالباً الغوث.. حظاً سعيداً مع أحلامك الوردية..من يدري قد تحققين كل أحلام بنات جنسك!"
خرجت من السيارة ولوحت لصديقتها ثم عادت لها بعد تفكير سريع:ـ"ادخلي لتناول الغذاء معنا... بإمكاني إعداد طبقك المفضل في وقت قياسي.. لازانيا باللحم المفروم".
:ـ"لا أظن هذا، رغم إغراء الفكرة...ربما في وقت آخر".
:ـ"حسناً.. كما تشائين...بالمناسبة.. هل أرسلت بطاقات الدعوة لحفل المدرسة السنوي؟"
:ـ"أرسلت معظمهم.. ونفذت الطوابع، سأرسل الباقي الليلة..هل أخبرتك بالتغييرات في الحفل؟"
هزت (ليان) رأسها بالنفي:ـ" لا لم تفعلي".
التمع بريق عيناها المشرق وهي تهتف:ـ" لن نقيم الحفل في المدرسة مثل كل عام... لقد ذهبت للمحافظة وحجزت ساحة الاحتفالات".
شهقت (ليان) بفرحة:ـ" ساحة الاحتفالات مرة واحدة".
:"بالطبع يا عزيزتي.. كل سنة نعاني من ضيق المدرسة بضيوفها. هذه السنة قررت أن نتوسع، خاصة وأن الاحتفال هذه السنة يضم العديد من الأنشطة. كما استأجرت بعض فقرات من السيرك...سيكون احتفالاً عالمياً".
:ـ"ومن أين لك كل هذه الميزانية؟"
قهقهت (جيدا):ـ" لن تصدقي..كان المدير في غاية السخاء هذا العام .. ليس من أجل عيوني بالطبع، ولكن طلباً في زيادة الإقبال على مدرسته التي أصبحت رائدة في كل المجالات".
:ـ"كل هذا بفضل مجهوداتك يا (جيدا)...لعله سخاءه يمتد لرفع راتبك الهزيل أيضاً".
:ـ"أنا لا أفكر بهذه الطريقة"
تنهدت (ليان) بانزعاج:ـ"أعلم يا عزيزتي".

ثم أردفت على استحياء:ـ"كنت أتساءل.. إذا كنت تستطيعين إضافة اسم لقائمة المدعوين؟"
غمغمت (جيدا) مفكرة:ـ" ولكننا لم ننس أحداً.. لقد أرسلنا دعوات لجميع الشخصيات الهامة فضلاً عن أولياء الأمور بالطبع".
:ـ"لا... هذه الشخصية من خارج المدينة، وسيكون ضيف (رؤوف).. وسيجد حرجاً في الحضور بدون بطاقة دعوة".
:ـ"حسناً يا (ليان) .. ما اسم هذه الشخصية الغامضة؟"
وأخرجت دفترها لتدون ما تمليه (ليان) :ـ" آه اسمه... (فارس)...السيد (فارس أصلان)".
:ـ"وإلى أين سأرسل الدعوة؟ العنوان يا (ليان)".
:ـ"بإمكانك إرسالها على عنوان بيتي، فهو رئيس (رؤوف) في العمل".
:ـ"حسناً.. الدعوة ستصلكم.. أي خدمة أخرى؟"
:ـ"شكراً يا عزيزتي... إلى اللقاء غداً".
وانطلقت بسيارتها تتنفس بعمق أخيراً ستعود لبيتها.
تنهدت محدثة نفسها:ـ"يوماً ما..ستكون لي عائلتي أنا أيضاً".
عادت لبيتها أخيراً، حررت شعرها وجسدها من ملابسها الغريبة التي فرضتها عليه. وبعد أن تناولت وجبة خفيفة جلست على مكتبها لتتفحص بريدها، وتكتب باقي الدعوات. وبعد انتهائها وضعتهم على طرف المكتب حتى لا تنس إرسالهم صباحاً، ومعهم خطاب ذلك المحامي مع عبارة "يعاد إلى الراسل". ثم وقفت أمام النافذة تحدق بقصرها الشامخ، وقد بدا مهيباً بين غيوم الليل التي بدأت تلتف حوله والشمس تودع الكون خلفه.
'لا تخف..لن أتخلى عنك أبداً، فأنت كل ما تبقى لي. لقد انتظرت معي كثيراً، ولكن يبدو أنه آن الأوان لتشهد ولادة أبنائي..لقد اقترب وصول والدهم العزيز..أشعر بهذا في داخلي..إنه يقترب'.

(٢)
جاءت عطلة نهاية الأسبوع وأضيئت الساحة العامة بالأنوار الملونة، ومنذ الصباح الباكر بدأ الناس بالتوافد. امتدت الموائد التي حفلت بشتى أنواع الأطباق الشهية، والتي ساهمت في إعدادها فرق التدبير المنزلي بالمدرسة. ومع انتصاف الشمس في كبد السماء، بدأت المسابقات من جميع الأنواع ولجميع الأعمار.
ركضت (جيدا) نحو (ليان) تحمل عنها طفلها الصغير هاتفة:ـ"(ليان) ..لقد تأخرت، ألم نتفق على الحضور مبكرة لمساعدتي؟"
أجابتها (ليان) لاهثة وهي تراقب طفليها الآخرين يركضان حولها:ـ"سهل عليك الاستيقاظ مبكرة، والحضور مبكرة..فلا مسؤوليات، ولا زوج لحوح ولا أطفال يركضون حولك صارخين".
نظرت لزوجها بتأفف فمد يده مرحباً:ـ" مرحباً (جيدا).. كيف حالك؟ أرى أن صديقتك بدأت بالشكوى".
:ـ"أهلاً (رؤوف).. أنا بخير.. لم لا تساعد تلك الشاكية؟"
تنهد قائلاً بهزة من رأسه:ـ" صدقيني لقد حاولت.. ولكنها دائماً تنتقد أعمالي، ففضلت دور الرجل الكسول عن الرجل المهمل الذي لا يجيد صنع أي شيء".
صاحت (ليان) حانقة:ـ"أنا؟! أنا قلت عنك هذا!! ولكنك.."
جذبها (رؤوف) ضاحكاً:ـ"لا بأس يا حبيبتي اهدئي، كنت أناكدك. (جيدا).. يبدو الاحتفال رائعاً هذا العام، بصماتك واضحة".
:ـ"لم أقم إلا بالمعتاد.. بالمناسبة هل وصل ضيفك؟"
:ـ"ليس بعد..ولكنه يشكركِ كثيراً على الدعوة، كان لطفاً بالغاً منكِ، آه لقد وصل أصدقائي، بإذنكما."
دقت (ليان) بقدميها في الأرض حانقة:ـ"أخخخ من هذا الرجل،

لم لا يبقى مع أسرته بدلاً من تمضية النهار في مصافحة هذا وذاك؟"
ضحكت (جيدا) وهي تلاعب الصغير:ـ" (ليان) .. أعطِ الرجل فرصة ليلتقط أنفاسه".
:ـ"أنت لا تعرفين شيئاً يا (جيدا)...لو اتبعت نصيحتك مرة واحدة فقط، سيعتاد عليها وبعدها لن يندم سواي.. هذه نصيحة خذيها من صديقة عمرك، إياكِ أن تعطي الرجل فرصة لينسى أنه متزوج وأب لثلاثة أبناء ولو للحظة.. صدقيني.. سيعتاد الأمر، خاصة بعد أن يجرب جناحيه ويكتشف أنهما ما زالا صالحين للطيران".
برقت عينا (جيدا) مصدومة:ـ"يا لها من أفكار غريبة! ولكني أرى أن الرجل لابد ألا يشعر أنه مقيد طوال الوقت، حتى لا يتسرب الملل لنفسه، وتصبح الحياة جحيماً لا يطاق".
أطلقت (ليان) صرخة احتجاجاً على ما تسمع:ـ" وتقولين عن أفكاري غريبة!؟ لن تصدقي حتى تجربي، وإلى ذلك الحين.. سنرى.. والآن أخبريني أليس هذا الحفل فرصة مناسبة لترتدي ملابس حقيقية، وتخلعي عنكِ هذه القبعة الرهيبة والنظارات الكبيرة التي تلتهم وجهك؟"
:ـ"(ليان) ..ما رأيك أن نعود لموضوع (رؤوف)؟"
تظاهرت بسماع شكوى صديقتها بينما كانت في عالم خاص بها، حتى ساورها شعور غريب أنها مراقبة. اجتاحها إحساس مقرون بلذة منعشة، واشتعلت حاستها السادسة لتخبرها بأن حدثاً جميلاً على وشك الحدوث وسيعمل على تغيير كل حياتها..
ولم يطل انتظارها.
بعد أن أسدل الليل أستاره، التمعت ألاف المصابيح بأنوارها الملونة لتبدد ظلام الليل.انتبهت لـ (ليان) تقدم لها ضيفها الغامض:ــ (جيدا)..عزيزتي...أقدم لكِ ضيفنا.. السيد (فارس

أصلان) الذي حدثتك عنه".
فجأة توقفت عقارب الساعات عند هذه اللحظة.. فقد كانت العلامة الفارقة بين ستة وعشرون سنة مضت، والسنين القادمة في المستقبل.
وتأكدت أنه هو.. حتى قبل أن تراه.. وتحدق بلهفة في بحور عينيه المراوغتين اللعوبتين...

*****

(٣)

لحن الحب والغرام، الأحاسيس التي احتفظت بهما كل هذه السنوات من أجل هذه اللحظة التي انتظرتها بشوق وحنين.
لقد عرفته قبل أن تراه.. حتى قبل أن تتأثر بمظهره المسيطر، وشعره الداكن الثائر فوق جبهته العريضة، وأنفه المستقيم الدال على عجرفته وغروره تماماً كما تخيلته، بالإضافة لشفتيه المرسومتين بدهاء مغري فوق ذقن عريض بظلال سوداء، توحي أن صاحبها صاحب إرادة وتصميم، معتاد على فرض الأوامر وعدم الصبر عند التلكؤ في إطاعتها، رغم أنه لم يبتسم وهو يمد يده لمصافحة يدها الممتدة بلهفة للمسته:ـ" تشرفت بلقائك يا آنسة (جيدا)، لقد سمعت عنكِ الكثير".
أفاقت من أحلام يقظتها على مرفق (ليان) ينغزها في خصرها، فسحبت يدها من يد الرجل محمرة الوجنتين من شدة إحراجها، عندما طال بقائها في يده بدون داع، وردت بصوت حاولت أن يخفي لهفتها:ـ" (ليان) الثرثارة.. لا تصدق نصف كلامها، فهي معروفة بالمبالغة في كل كلامها".
رد بصوت واثق عشقت كل نبرة في كل حرف من حروفه خرج من بين شفتيه:ـ" حتى لو كان مدحاً فيكِ وفي قدراتك؟ لقد صورتك ملاكاً يمشي على الأرض".
أحست بصدمة وهو يجيل النظرات في ملابسها بقلة اكتراث، ولأول مرة ترغب لو أنها لم تكن بكل هذا العناد، ولو أنها أطاعت (ليان) هذه المرة فقط. أنقذها انضمام (رؤوف) ومعه حسناء ظهرت (جيدا) بجوارها وكأنها نيجاتيف باهت لصورة رائعة الألوان..
وعلى الفور دون الاكتراث بالنظرات المستهجنة والمصدومة ارتمت بين ذراعي (فارس) بغنج ودلال هاتفة :ـ"حبيبي.. لن تصدق ما حدث!! لقد بحثت عنك في كل مكان ولكنك اختفيت

فجأة، وكدت أيأس من إيجادك لولا صديقك الطيب رؤ...".
أوقف اندفاعها برقة، ولكن بنبرة حازمة زادت من غضب (جيدا)، فقد أبدى الكثير من الترحيب لالتصاقها به:ـ"عزيزتي.. على رسلك.. وألقِ التحية على الآنسة (جيدا).. واحدة من الفريق الرائع الذي أعد هذا الاحتفال".
ما سمعته بعد ذلك كان طنيناً، فقد انشغلت بتفحص تلك المتحذلقة من قمة شعرها الأشقر المصبوغ.. حتى جسدها النحيل، وزاد من نحوله ثوبها الملتصق القصير.. إلى ساقيها الطويلتين وحذائها الأحمر الكاعب.
انتبهت لها تمد يدها لتصافحها وتحدثها بنبرة متقطعة كأنها معاقة:ـ" عمل جيد يا آنسة".
ثم استدارت لتصب اهتمامها على صديقها مرة أخرى:ـ"(فارس).. سمعت بوجود فرقة للرقص الشعبي، هل تصدق؟! في هذه البلدة الصغيرة!! أرجوك يا حبي تعال وشاهدها معي، أشك أن أحداً هنا يتقن هذه الرقصات فعلاً خاصة وأنهم حفنة من الأولاد! مثير للسخرية.. أليس كذلك؟"
حدجتها (ليان) و(جيدا) بنظرات مستعرة فاعتذر (فارس):ـ" أرجو المعذرة...(سالي) لا تقصد الإهانة. هي دائماً بهذا الشكل عندما تشعر بالإثارة. أستميحكما عذراً، سنذهب للرقص، أقصد لنشاهد الرقص..هيا يا عزيزتي".
ولم ينتظر أي رد وهو يتأبط ذراع صديقته ويغادران المكان.
أفاقت (جيدا) على صوت (ليان) الحانق:ـ"لم أر في حياتي مثل هذه الوقاحة والجرأة!"
ربت (رؤوف) على ظهرها مهدئاً:ـ"هؤلاء هن بنات المدن يا عزيزتي.. مجرد كعوب وأثواب براقة خالية من اللباقة..(جيدا)؟"
هزت (جيدا) رأسها بدون تعليق، ثم تركتهما وسارت في أثر

(فارس) وصديقته متمتمة في نفسها:ـ" إذاً بهذا المنظر تحب نسائك يا سيد (أصلان)، كم سيكون إخضاعك عملاً مجهداً! ولكنه يستحق مع ذلك كل ذرة عرق في سبيله.. فأنت شئت أم أبيت فارس أحلامي وأب أولادي!! هذا هو مصيرك المحتوم من اللحظة التي وطئت فيها قدماك أرض بلدتنا!"
لحقت بها (ليان) و(رؤوف) وحثتها صديقتها على الكلام:ـ"(جيدا).. ماذا بكِ؟ سألناكِ ما رأيك في هذه المتزلفة؟"
ردت (جيدا) بصوت غلب عليه التفكير:ـ" ملابسها فاضحة.. وتلك الأصباغ التي تلون بها وجهها تخفي بشاعة حقيقية".
تساءل (رؤوف) ضاحكاً:ـ" أحقاً؟! كيف لم ألحظ كل هذا؟ لقد رأيتها جميلة مع عدم لباقتها وأخلاقها الفجة".
ردت (ليان) بثورة:ـ" أنت وغيرك من الرجال لا ترون من المرأة إلا القشرة الخارجية فقط، أما ما تحت السطح فلا يثير اهتمامكم أبداً..هل رأيت يا (جيدا)؟ هذا ما كنت أحكي لك عنه".
لم تلحظ أن صديقتها في عالم ثان،عيناها زائغتان تبحثان عن ضالتها التي لن تتخلى عنها بعد أن وجدتها أخيراً.
سألها (رؤوف) عندما لاحظ شرودها:ـ"(جيدا)..هل أنتِ بخير؟"
ردت ساهمةـ":قالا إنهما ذاهبان إلى باحة الرقص الشعبي.. ولكني لا أراهما".
سألتها (ليان) بدهشة:ـ"من تقصدين؟ آه..السيد (فارس) وعقربته".
تنحنح (رؤوف):ـ"(ليان)..سأذهب لتسلية الأولاد، لا تتحركا من هنا سأعود بعد قليل".
راقبت (ليان) زوجها حتى اختفى في الزحام، ثم عادت تتأمل صديقتها بدهشة شديدة وهي تبحث بعينيها بين الرؤوس المتزاحمة حتى هتفت كطفلة صغيرة عثرت على لعبتها الضائعة:ـ"ها هما يا (ليان) ..هل ترينهما؟"

سـرحت (ليـان) بنظراتهـا حيـث أشـارت (جيـدا) ثـم سـألتها بتعجب:-" (جيدا).. لم أركِ مهتمة برجل بهذا الشكل من قبل!! أكاد لا أصدق ما أرى بعيني!! أنتِ يا (جيدا)؟!"
ردت بصوت جاد:-"إنه هو يا (ليان)..أشعر بهذا في أعماقي".
صرخت (ليان) باستنكار:-"بالطبع لا يمكن أن يكون هذا الرجل هو فارسك المنتظر!"
شحب وجه (جيدا) وشعرت بغثيان قلب معدتها:-"لماذا؟ هل هو متزوج؟ من تلك التي معه؟ هل...هل هي زوجته؟"
ازدادت دهشـة (ليـان) مـن موقـف صـديقتها، التـي علـى وشـك الانهيار من أجل رجل لم تعرفه إلا منذ خمس دقائق فقط!!
:ـ"اهدئي يـا (جيـدا).. الرجـل غيـر متـزوج.. وبـالطبع تلـك العظاءة(السحلية) التي معه ليست زوجته... ولكن.."
سألتها (جيدا) بإلحاح:-"ولكن ماذا يا (ليان)؟هل هو منحرف؟"
صـاحت (ليـان) بعـد تنهيـدة عميقة:ـ"(جيدا)..الرجـل لا يصـلح لامرأة مثلك. إنـه لعوب، ومتعجرف، وزيـر نسـاء. سيجرحك يـا عزيزتـي. الرجـال أمثالـه لا يعترفـون بالحـب باللغـة التـي تعرفينها".
ضجت (جيدا) بالضحك بعد أن انتابتها موجة من الراحة وتنهدت بعمـق قائلة:ـ" (ليـان) عزيزتـي..من قـال إن الحـب والسـعادة يأتيان على طبق من ذهب؟! أنـا لا أطفو فوق غيمـة ورديـة كمـا تتخيلينني..بالطبع أدرك أنه ستقابلني بعض العقبات حتى يدرك فارسي أنه نصفي الضائع".
هزت (ليان) رأسها بأسف وهي تراقب صديقتها الخجول تخترق بجرأة جموع المشـاهدين حـول الراقصين، حيث يقـف (فـارس أصلان) مع صديقته
:-"سيد (فارس)...أعتذر للمقاطعة."
توقـف (فـارس) وصـديقته عـن التمايـل علـى أنغـام الموسـيقى

وانتبه لها:-"آنسة (جيدا)!! بم أستطيع خدمتك؟"
وبجرأة متزايدة أدهشتها هي نفسها:-" بما أنني صاحبة الدعوة، هل تسمح لي ببعض من وقتك؟ بعد إذن الآنسة (سالي)".
احتدت ملامح (سالي) وهمت بالرد بوقاحة عندما أوقفها (فارس):-"(سالي)..الآنسة (جيدا) على حق، لقد نبهتني لخطأ وقعت فيه دون قصد..عذراً حبيبتي. اسمحي لي أن أصلح هذا الخطأ..سألحق بك بعد قليل".
كان يبدو مسيطراً تماماً..كان أفضل تخمين نظراً لخنوع (سالي) لأمره، وانسحابها بغضب مكبوت، ولكن ليس قبل أن تهدي (جيدا) نظرة لو أمكنها لقتلتها بها. لكنها لم تهتم قدر ذرة، فهاهي أخيراً أقرب ما تكون لتحقيق حلمها..
أجابته على نظراته الحائرة:ـ"ألم تطلبك امرأة من قبل للرقص؟!"
فكر للحظة ثم هز رأسه بالنفي:-"لا..على حد ما أذكر..خاصة وبصحبتي لبوة ثائرة ك(سالي)..اسمحي لي أن أبدي إعجابي بشجاعتك."
:ـ" هل ظننتني معلمة مدرسة عانس،لا تجيد تملق الرجال بالملابس الساخنة والأصباغ الفاقعة؟"
رد بصراحة ونظرات متفكهة:-"قد تبدين هكذا من أول نظرة.. أي مادة تُدرسين؟"
:-" الأدب والشعر".
:-" أهاا..من هنا كانت كلمات الدعوة منتقاة بعناية..شكراً لكِ لإتاحة الفرصة لي لقضاء وقت ممتع".
:ـ" أنا لا أرفض طلباً ل(رؤوف) ولا (ليان)..هل ستبقى في البلدة؟ أعني.."
قاطعها ضاحكاً وكأنه قرأ أفكارها:-" لا أعرف بعد..هذا يعتمد على سرعة عثوري على ضالتي".

سـألته بأمل:ــ"وعمـا تبحـث؟ إن لـم تعتبـر سـؤالي تطفـلاً.. قـد أستطيع مساعدتك".
:ـ" أبحث عن مكان يصلح لأن يكون فندقاً أو استراحة... هل تعرفين مكاناً بمثل هذه المواصفات؟"
ردت بابتهاج:ــ"بـالطبع أعرف..لو...لـو سـمحت لـي أن أكـون دليلك السياحي فـي بلدتنا المتواضعة..غداً سأصحبك وأريك كل الأماكن التي تنطبق عليها مواصفات ما تريد".
سألها مفكراً:ـ" ولكن..ألن أعطلك عن حصصك في المدرسة؟"
:ـ"بـالطبع لـن تفعل..لو التقيت بـي السـاعة الثانيـة عشرة أمـام بوابة المدرسة، سأكون أنهيت مـا علـي مـن التزامـات، وسيكون لدينا الوقت الكافي كذلك لأتجول بـك فـي كل الأمـاكن التـي تصلـح لما تريد".
رد بابتسـامة واسـعة التمعـت بهـا عينـاه الرمـاديتين فخطفـت أنفاسها:ـ"هو موعد إذاً يا آنسة."
:ــ" (جيـدا)...يمكنـك أن تنـاديني باسـمي دون أي ألقاب..كمـا يمكنني المثل..أليس كذلك يا.. (فارس)؟"
رفـع أحـد حاجبيـه ساخراً:ــ"طبعـاً.. يـا..(جيـدا)..أتشـوق للقائـك غداً".
ردت بلهفة لمعت فيها زرقة عينيهـا مـن خلـف عدسـات نظاراتهـا الكبيرة:ـ" وأنا أيضاً."

*****

(٤)

لأول مرة في حياتها تشعر ببطء الوقت، خاصة في المدرسة، محور حياتها التي كانت تظن حتى الأمس فقط أن أجمل أوقاتها تقضيها بين الصفوف وحل مشاكل التلاميذ... ولكن ليس اليوم وهي تتطلع كل دقيقة لساعتها بلهفة لوقت الظهيرة.
وأخيراً شعرت أن كل من بغرفة المعلمين سمع زفرة الارتياح وهي تخرج من سجن صدرها بعد سماعها لجرس انتهاء الدوام.
نهضت تعدل من هندامها الذي اختارته بعناية اليوم، وإن لم تخرج عن الإطار المعتاد، ولكنها اختارت ألواناً فاتحة للمناسبة المتميزة...
البلوزة الفضفاضة بلون بيج داكن تحليه أزرار خشبية اللون كبيرة الحجم، وتنورة متعددة الثنايا خشبية اللون كذلك.. وشعرها الملفوف بإحكام خلف قبعتها الواسعة من الخلف والمحيطة بجبينها بإحكام، زينتها ببروش فراشة ذهبية لتحد من لونها الأسود... ثم عدلت نظاراتها الكبيرة على أنفها..
قائلة محدثة مرآتها غير آبهة بنظرات زميلاتها وزملائها المتعجبة:ـ" والآن سيد (أصلان).. سنرى اليوم أيهما يؤثر فيك أكثر.. المظهر.. أم الجوهر؟"
كانت في عجلة للوصول للبوابة عندما أوقفها صوت المدير في الممر بين الفصول:ـ" آنسة (جيدا)... لو كنتِ متفرغة.. أود مناقشة النقاط الأساسية لاجتماع مجلس الآباء اليوم و.."
قاطعته بكلمات سريعة مقتضبة:ـ" في الواقع سيدي أنا بالفعل مرتبطة بموعد، وأنا على وشك تفويته".
سألها بفصول:ـ" موعد؟! آنسة (جيدا)! أنت..؟"
ردت بحدة وهي تتجاوزه:ـ" نعم.. أنا.. سيدي المدير لو تسمح لي... لقد تأخرت بالفعل على موعدي".
ولم تنتظر رده، مدركة وهي تركض لتلحق بموعدها الهام، أن

المدير حدد أول نقطة هامة لمناقشتها في مجلس الآباء، وهي النميمة على معلمة المدرسة العانس وموعدها الأول منذ كانت في مقاعد الدراسة، غداً على الأرجح ستكون حديث البلدة كلها.
أشرقت بابتسامة وهي تراه من بعيد واقفاً بانتظارها، فجدت في السير نحوه بدون رشاقة وتمايل كعادة النساء في محلها عند اللقاء في موعد...
:-"آسفة.. هل تأخرت؟"
نظر في ساعته ثم رفع حاجبيه:-" بل في موعدك تماماً... لم يحدث لي هذا من قبل، وإن كنت لم أمانع أبداً في الواقع، فالسيدات في حياتي لهن حق حصري بالتأخير... ولن أستثنيك من القاعدة".
لم تود إبعاد عينيها عنه.. كان أكثر وسامة مما تذكر، رغم أنه لم يبارح خيالها للحظة واحدة طوال الليل...
رغم ملابسه غير الرسمية بالتي شيرت الأبيض قصير الأكمام والجينز باهت اللون، كان أكثر شباباً وحيوية لدرجة انقطاع أنفاسها وهي تحدق به من خلف عدساتها الكبيرة ..
:-" آنسة (جيدا)".
انتبهت بخجل لإطالتها التحديق به، فأطرقت برأسها معتذرة تلوم نفسها على غباءها:-" آه.. عفواً... معك سيارتك.. أليس كذلك؟"
:-" نعم.. تفضلي معي، وسأعيدك لسيارتك بعد انتهاء جولتنا".
كادت ترى نفسها بعيني خيالها مرتدية الثوب الأبيض الطويل، وهو ببدلة العرس يفتح لها باب سيارته لتستقر جواره....
:-" (جيدا)... (جيدا)... من أي طريق؟"
عبأت صدرها بدفعة هواء كبيرة حتى شعرت بألم في رئتيها، ثم أخرجتها ببطء كي تتمالك نفسها من الإثارة ولا يشعر رفيقها بلهفتها الشديدة، التي تكاد تقفز من خلف عدسات نظاراتها كلما تفوه بحرف، ثم أشارت بيدها بصوت مبحوح:-" من هذا

الطريق... أعني اليمين".
هز رأسه بدهشة مكبوتة ثم استدار بالسيارة للطريق حيث أشارت..
:ـ" هل يمكنك أن تحدثني عن مشروعك بتفاصيل أكثر؟ قد يمكنني مساعدتك لو عرفت ما تريد بالتحديد".
هز رأسه بالموافقة، وبدأ يسهب في شرح أفكاره، وكأنه يقرأ من كتاب لتمضية الوقت، ولكن الحالمة جواره لم تشعر بما يعانيه من ملل.. فقد طارت أفكارها لقصرها العتيق وقد امتلأت أروقته الصماء بصخب أطفالها وضجيجهم، بينما هي غارقة في غرام زوجها الحبيب، يمطرها بأشواقه وكلمات الحب التي لا تنفذ مهما تقدم بهما العمر، ويبثها أشواقه الحارة دائماً...
:ـ" (جيدا)... آنسة (جيدا)... هل أنتِ نائمة؟"
:ـ" آه.. هل ناديتني؟ عفواً.. كنت شاردة. توقف عندك هنا.. هذا النزل معروض للبيع ويصلح لمخططاتك".
أردفت عندما رأت خيبة الأمل على وجهه:ـ" وقد نرى غيره... لا تيأس.. ما زالت الاختيارات أمامنا مفتوحة".
ولعدة ساعات كانت ممتعة بالنسبة لها- على عكس رفيقها، الذي ظهر عليه الملل والتبرم- لم يلق أي مكان من الأماكن التي عرضتهم عليه استحسانه من قريب أو من بعيد..
حتى توقف بفرملة مفاجأة عندما مرا أمام القصر العتيق، اعتبرتها إشارة إلهية عندما صاح بابتهاج وهو يترجل من سيارته:ـ" هذا هو تماماً ما أبحث عنه.. هل تعرفين أصحابه؟ هل هو معروض للبيع؟"
هزت كتفيها وهي تجيبه بغموض لاحقة به أمام البوابة الحديدية الكبيرة بينما شخص بصره نحو القصر بإعجاب:ـ" كلا على حد علمي، ليس معروضاً للبيع... تعال معي.. سأريك إياه من الداخل".

تردد أمام البوابة المفتوحة:-" ولكن... هل أصحابه بالداخل؟ ألن يعتبروننا متطفلين؟"
:-" لا تقلق.. أنا على معرفة وثيقة بهم".
شعرت بسعادته الغامرة وهو يجيل النظر في الحدائق المزهرة من حوله بإعجاب يزداد كلما توغلا بالداخل.. حتى فتحت أمامه بوابة القصر الداخلية...
تساءل بدهشة:-" ألا يعيش أحد هنا؟"
ردت بغموض:-" المكان فسيح جداً لتعيش فيه امرأة بمفردها".
:-" وأين باقي عائلتها؟"
:-" هي المالكة الوحيدة بعد وفاة الجميع".
:-" مسكينة.. كم غرفة بهذا المكان؟"
ردت وهي تشير بيديها:-" عشرون غرفة بالأعلى، خلاف ملحق للخدم بالأسفل، والقاعة الكبيرة، والقاعة الصغيرة، وغرفة الطعام بالطبع.. والمكتب".
:-" يا له من مكان كبير لامرأة وحيدة حقاً! ألم تفكر ببيعه أبداً؟ يبدو لي ملائماً لمشروعي من كافة الجوانب... لو استطعتِ إقناعها ببيعه لي سأعطيك نسبة... هل أنتما صديقتين؟"
ردت بضحكة ناعمة:-" بل أكثر.. أنا وهي تقريباً... شخص واحد".
تراجع متفاجئاً:-" تقصدين.. مجازاً؟"
:-" بل هو الواقع يا سيد (فارس).. أنا فعلاً مالكة القصر".
لم يبد أكثر سعادة من هذه اللحظة فأمسك بيديها بحماس:-" إذاً فقد حُلت مشكلتي".
ردت بابتسامة هادئة:-"في الواقع يا (فارس).. لم يحدث. من الأفضل أن تختار من أحد الأماكن التي عرضتها عليك اليوم".
تساءل محبطاً:-"وما عيب هذا المكان؟ أتعتقدين أن ثمنه فوق قدراتي؟ سأكتب لكِ شيكاً وحددي أنتِ السعر بلا نقاش..."

:-"آه.. يا (فارس).. ليتني أستطيع فعلاً، ولكنني حقاً متمسكة بهذا المكان، وأموال الدنيا لن تزحزحني عن رأيي".
:-" ولكن ما حاجتك لكل هذا القصر وأنتِ وحدك، وعلى ما يبدو أنكِ لا تعيشين فيه أيضاً".
:-" لا.. أنا أعيش في الكوخ الصغير بجوار البوابة، ولكن لدي خطط بعيدة المدى لقصري".
أمسك بيديها بين يديه محاولاً التأثير عليها بجاذبيته التي لم تخيب يوماً لقضاء حوائجه:-" (جيدا).. أرجوكِ.. أعيدي التفكير بعرضي، وبمليون خطة بعيدة المدى وقصيرة المدى يمكنك تنفيذها بكل الأموال التي ستعود عليكِ من بيعه".
تأملت يديها بين يديه، وأغمضت عينيها بقوة تستمتع بسحر اللحظة وتمنت ألا يتمادى في إغوائها وإلا ربما باعته القصر متأثرة بسحره الغامض.
حمدت الله عندما قرر الابتعاد أخيراً، وإعادة يديها إليها قبل أن تجمح بها خيالاتها لأبعد ما تستطيع الاحتمال.
:-" والآن.. سأترك لكِ وقتاً للتفكير.. وسأبقى على اتصال بكِ".
ربت على يدها وانصرف...
كان هذا منذ وقت طويل، وهي لا تزال مسمرة مكانها تلاحق طيفه، سارحة بالمزيد من أحلام اليقظة.
انطلقت عائدة إلى كوخها الصغير، محلقة بجناحي السعادة.. حالمة بفارسها.. خلعت ملابسها وقيود شعرها، وهي ترقص وتدور حول نفسها، لا تكاد تصدق أنها فعلاً عثرت عليه، ولكن.. توقفت فجأة لتتذكر أنه لم يحدد معها موعداً.. وحتى لم يسألها عن رقم هاتفها!! كيف لم تفكر بهذا الأمر؟ وكيف تركته يذهب هكذا قبل أن يعرف أنه هو.. فارسها المنتظر.. أتى محلقاً بجواده الطائر ليحملها على ظهره لعالم السعادة...

(٥)

مرت أيام من التوتر والقلق ممزوجة بالسعادة المكبوتة، حتى جاء رنين الهاتف ليضع حداً لأحزانها، عندما عبر صوته أسلاك الهاتف وصولاً لأذنيها... عند هذه اللحظة فقط ارتخت أعصابها المشدودة، وصورتها بثوب زفافها مع فارس أحلامها لا تغيب عن عينيها...

حدد معها موعد اللقاء مساءً على العشاء. وضعت سماعة الهاتف والأفكار تتزاحم في رأسها:-"ماذا سأرتدي؟"

خُيل إليها أنها تسمع صوت (ليان) تنصحها بنزع قناعها لتُظهر جمالها، ولكن رغبتها في أن يحبها كما هي كانت أقوى...

نهضت بتصميم لتعد ثيابها المعتادة بابتسامة متفائلة. إذا كان هو فعلاً فارس أحلامها لن يهتم بما ترتدي، وهي واثقة أنه هو.. كما حدثها قلبها من أول لحظة لقاء!!..

كان أكثر وسامة وتألقاً من أي وقت مضى، كما كانت أشد لهفة وشوقاً لتنعم برؤية ملامحه الرجولية وطلته الجذابة...

اصطحبها من أمام بوابة القصر في سيارته. لم تتأثر عندما لم ينزل لاستقبالها وفتح باب السيارة لها كما كانت ترى دائماً في الأفلام الرومانسية، كما أن هذا ليس فيلماً رومانسياً.. هذه هي الحياة الواقعية، ويكفي أنها معه الآن وللأبد..

ولكنها انبهرت بالمطعم الفاخر الذي حجز فيه مسبقاً...

استقبلوه باهتمام كبير، ووقف النادل خلفها يمسك بالمقعد حتى جلست، دون أن تحيد عيناها عنه كي لا يفوتها أي خلجة من ملامحه..

:-" هل أنت بخير؟"

:-"نعم.. مطعم فاخر... يبدو أنك معروف هنا".

:-" أها.. هذا هو مكاني المفضل في المدينة لتناول الطعام.. ماذا تحبين؟ أم أطلب لكِ؟"

:- أي شيء.. ماذا ستطلب أنت؟"
:-" الليلة سيقدمون قائمة ممتازة من المأكولات البحرية."
:-" تبدو وجبة شهية.. سأطلب مثلك".
لم تشعر في حياتها بالامتلاء كما حدث بعد هذه الوجبة المذهلة، ولم تتخيل أنها تملك كل هذه الشهية.. كما أن الطعام بصحبة (فارس) كان له مذاقاً مختلفاً..
:-" هل فكرت؟"
سؤاله فاجأها في خضم أفكارها الحالمة كالعادة:-" عفواً.. فكرت بأي شيء؟"
لم تلحظ ضيقه وملله وهو يكرر بنفاذ صبر:-" في عرضي يا (جيدا).. لشراء القصر".
أجفلت متراجعة في مقعدها:-" ولكنني ظننت أنني أخبرتك... عفواً.. يبدو أنني لم أكن واضحة معك.. (فارس).. أنا لا أفكر ببيع قصري أبدا".
أصدر صوتاً مزعجاً وهو يضع الشوكة والسكين جانباً وأضجع للخلف يرمقها بنظرات حانقة، ثم تمتم بنبرة منخفضة ولكنها شعرت بذبذباتها الغاضبة:-" ورأيك المتشدد هذا له علاقة بخططك بعيدة المدى التي حكيت لي عنها؟"
ردت بابتسامة هادئة:-" نعم... أخبرتك عنها أليس كذلك؟"
رد بذات النبرة الخشنة المتحفزة:-" لا.. في الواقع لم تفعلي".
لم تؤثر فيها خشونته وهي تجيبه بابتسامة حالمة، وتراه بعيني خيالها يحيط خصرها بذراعيه وأبناءهما يتراكضون بين أقدامهما :-"في الحقيقة يا (فارس) هذا القصر أحتفظ به لأبنائي... سيولدون فيه ويلعبون في حدائقه، كما كنت وأنا صغيرة، وكما كان لآبائي وأجدادي من قبل".
لم يستطع منع تلك الرنة الساخرة وهو يرد بشبه صراخ:-" كل هذا القصر الفسيح لأبنائك، الذين لم تجدي أباهم بعد؟"

سألته باندفاع:-" ومن قال لك إنني لم أجده؟"
:-" إذاً من يكون سعيد الحظ؟ أحد المدرسين في المدرسة؟ أم أحد أهالي تلاميذك؟"
ردت بغموض:-" لست متأكدة بعد".
تنهد بعمق:-" (جيدا).. كوني واقعية. حتى لو تزوجتِ، فأنتِ وزوجك وأبناءك، أياً كان العدد الذي تفكرين به، سيكفيكم فيلا صغيرة بربع ثمن القصر، وباقي المبلغ تستطيعين إيداعه في أحد البنوك ليدر لكِ دخلاً محترماً كل شهر".
ردت بملامح حزينة:-" ويعيش في قصري أشخاص لا أعرفهم.. ينامون تحت سقفه ويأكلون ويشربون.. يضحكون ويبكون بين جدرانه... لا.. لا... آسفة جداً يا (فارس). هذا القصر ملكي وحدي ولن أبيعه ولو مت جوعاً".
رد بحدة:-" ولكنك غير قادرة على صيانته... سيتهدم فوق رأسك قبل أن يأتي أبناؤك المزعومين".
:-" سأتقدم بطلب قرض من البنك.. وسأقوم بنفسي بصيانته، ليعيش مئة سنة أخرى".
تنهد بيأس وغيظ:-" لا فائدة إذاً؟"
سألته بقلق:-" سيد (أصلان)... هل دعوتك لي اليوم فقط من أجل عرضك لشراء القصر؟ للتأثير على قراري؟"
شرد فكره للحظات ثم تنبه لشيء وكأنه غاب عن باله، فأمسك بيديها بين يديه قائلاً بنبرة مختلفة تماماً عما كان عليه منذ قليل:-" سامحيني يا (جيدا)... إنها وقاحة مني ولكن بالطبع كانت رؤيتك من أولى اهتماماتي".
سألته بلهفة وعدم تصديق:-" أتعني أنك سترغب برؤيتي في المستقبل رغم إصراري على رفض عرضك؟!"
:-" بالطبع.. لقد أخذت فرصتي معك وأحترم قرارك، وأصر على الفوز منك بأي شيء.. ولم يتبق لي غير صداقتك.. لن تبخلي

علي بها...أليس كذلك؟"
عادت ابتسامتها لتملأ شفتيها وعينيها وكل نبضة إحساس في جسدها:-" بالطبع... أكيد يا (فارس)... أووووه... لا أعرف ماذا أقول؟"

*****

(٦)

ركضت مسرعة تفتح البوابة الحديدية الكبيرة مجيبة علي الطرقات المتوالية والنداءات المتكررة:ـ" أوه.. أهذه أنت (ليان)؟عفواً لم أسمعك... تفضلي".

:ـ"أين أنتِ يا (جيدا)؟! مختفية بشكل مريب.. ظنناك هاجرتِ! كل يوم تقريباً من بعد دوام المدرسة تختفين تماماً إلى اليوم التالي!"

:ـ"ها أنا ذا أمامك لم أختف بعد".

أجالت (ليان) النظرات في شعر صديقتها المترنح بدلال حول خصرها الناحل، وشورتها القصير الساخن مع البلوزة المعقودة الأطراف على بطنها وصفرت بإعجاب:ـ" أوه.. أهذه أنت حقاً؟! كدت أنسى شكلك الحقيقي".

:ـ" تعالي.. كنت أنظف أحواض الزهور الشرقية، لذلك لم أسمعك".

تبعتها (ليان) حيث تعمل قائلة بمصمصة الشفاه:ـ" آه لو تتخلين عن بعض أفكارك المثالية هذه.. يوماً واحداً فقط. أُقسم أن الرجال سيتراكضون خلفك كالمجانين".

أجابتها (جيدا) وهي تغسل يديها من آثار الطين من صنبور الحديقة:ـ" ما رأيك بمن يركض خلفي طلباً لودي وأنا كما أنا بملابسي المحتشمة ونظاراتي السخيفة؟"

ردت (ليان) مبهوتة غير مصدقة:ـ" ومن هذا المغامر؟"

ردت بلامبالاة وهي تعبث بخصلات شعرها الطويلة:ـ" (فارس أصلان)".

شهقت (ليان):ـ" (جيدا)! هل أنتِ جادة؟"

:ـ" بالطبع.. (فارس) على وشك أن يطلبني للزواج".

:ـ"لا مستحيل.. هل رأيته بعد الحفل؟ هل تلعبين من ورائي يا بنت؟"

قهقهت (جيدا) ضاحكة:ـ" أوووووووه.. مرات.. ومرات.. لا يكاد يوم يمر إلا ويتصل بي، أو يأتي بنفسه ليصطحبني للعشاء في أفخر مطاعم المدينة".
تنهدت (ليان) بانزعاج:ـ" لقد حذرتك منه يا (جيدا)... هو شخص لا يظهر ما يبطن و... و.."
حثتها (جيدا):-" ماذا؟ تكلمي."
:-" ألن تغضبي مني؟ حبيبتي أنا لا أريد إلا صالحك."
زفرت (جيدا) بضيق:-" (ليان) .. هاتِ ما عندك".
تنهدت (ليان) وهي تنظر لصديقتها وكأنها محرجة مما ستقوله ثم اندفعت فجأة:-" حسناً.. لو لم أخبرك أنا لن يتكفل أحد بهذه المهمة. عزيزتي (فارس أصلان) ليس من هذا النوع من الرجال الذي قد يهوى.. حسناً..عانساً معقدة مثلك. ها قد بصقتها".
تساءلت (جيدا) بدهشة:-" عانس!؟ معقدة!؟ هذه أنا؟!"
:-" يا عزيزتي.. هذا هو اللقب الذي يطلقه عليكِ أهل البلدة.. بسبب طريقتك في ارتداء ثيابك، ونفورك من الرجال والعلاقات. لذلك كنت أتمنى لو تستمعين لي يوماً وتخلعي عنك هذا ال.. تعرفين".
ردت ساهمة:-" ولكن (فارس) لا يراني عانساً معقدة، وإلا لماذا يطلبني باستمرار ويدعوني للعشاء؟ كما أنه لم يلمح لي ولا مرة واحدة أن طريقتي في ارتداء ملابسي لا تروق له".
تنهدت (ليان) بزفرة متعجبة:-" وهذا ما يدهشني فعلاً".
هزت (جيدا) أكتافها قائلة بابتسامة حالمة:-" الإجابة واضحة يا عزيزتي... إنه الحب. لقد أحبني (فارس)، والحب أعمى كما يقولون.. لقد أحبني وأنا عانس معقدة بملابس قبيحة، فماذا سيفعل لو رآني بهذا الشكل؟"
:-" ومتى تنوين إنهاء اختبارك ونزع قناعك هذا؟"
:-" ستكون هديتي له يوم زفافنا".

(٧)

جاءت اللحظة المرتقبة بأسرع مما توقعت، فلم يمر على حديثها مع (ليان) يومان حتى جاء عرض الزواج الذي حلمت به... لم يكن بالرومانسية التي توقعتها، ولكنها لم تهتم.. فالمفاجأة كانت صادمة أعجزتها تقريباً عن النطق وهي ترى أول أحلامها قد بدأ يتحقق، فغشت السعادة عينيها عن رؤية برودة وصقيع أحاسيسه المنعدمة وهو يلقي لها بعرضه. ظنت أن تاج السعادة استقر أخيراً على رأسها، ولم تدرك أنه لا يزال بعيداً عنها بُعد السماء عن الأرض!

:- "(جيدا).. هل أعتبر صمتك موافقة على طلبي؟"

اهتزت رأسها بقوة، وما يزال لسانها معقوداً من الفرحة الغامرة، فشد على يديها بقوة عبر المائدة، ثم رفع أناملها ليطبع عليها قبلة رقيقة بابتسامة انتصار:ـ" شكراً لكِ على قبولك عرضي... ستجعلين مني أسعد رجل على الأرض".

ردت بحماس:-" هذا وعد مني".

:-" رائع.. والآن.. كم يلزمك من الوقت لتجمعي أمتعتك؟"

رفعت رأسها بحذر لسؤاله الغريب:-" أجمع أمتعتي؟! إلى أين؟"

:ـ" حبيبتي.. من الطبيعي أن تنتقل الزوجة إلى بيت زوجها.. هذا ما يحدث عادة".

أجفلت للحظات وكأنها لم تنتبه لهذا المنطق من قبل:ـ" (فارس).. أنا لا أستطيع ترك بيتي وعملي وحياتي.. أرجوك.. وافق حتى تكتمل سعادتي".

:ـ" ولكن هذا مستحيل يا (جيدا).. عملي في المدينة، وليس هنا".

:ـ" المدينة لا تبتعد كثيراً... سنعيش في الكوخ الصغير، حتى تكتمل ترميمات الصيانة في القصر".

صمت مفكراً للحظات، ثم رسم ابتسامة رائعة أذابت ما تبقى من

أحاسيسـها الهائمة:ـ" حسـناً.. مـن أكـون لأرفـض أول طلـب لخطيبتي الجميلة؟"
:-" أحقاً (فارس)؟! هل وافقت؟! أنا لا أصدق.. شكراً لك".
مـن خلـف نظاراتهـا كـادت تلتهمـه بعينيهـا وهـي تحلـق بأجنحـة السعادة حتى كاد قلبها أن يكف عن الخفقان...
وانتبهت أخيراً لحديثه:-" ما رأيك في الخميس المقبل؟"
جفلت ذاهلة:-" الخميس؟! لأي شيء؟"
:-" (جيدا) ماذا بكِ؟ لعقد القران بالطبع".
ارتبكت وشحبت:-" (فارس) ولكن... هذا بعد ثلاثة أيام فقط.. لـن أجد الوقت الكافي لأي شيء!"
أمسك بكلتا يديها المثلجتين مهدئاً:-"اتركي لي تدبير كل الأمور.. لا تقلقي."
اندهشت من نفسها لاقتناعها بكلامه المنـافي لأي منطق، فعـادت تـهز رأسـها وقـد خـدرها برماديـة عينيـه، حتـى استحال عليـها إلا الإذعان والموافقة علـى كـل مـا يتفـوه بـه وهـي كمسلوبـة الإرادة تـهز رأسها بالموافقة، وفكرة واحدة سيطرت على عقلـها..
"لقد أحبها فارسها، ولا يقوى على الانتظار حتى يتزوجها".
*****

(٨)

صرخت (ليان) من هول المفاجأة عندما صدمتها صديقتها بموعد الزواج:-"الخميس؟! ولكن كيف؟"

قالت (جيدا) بهيام:-" ألم أقل لكِ إنه مغرم بي؟"

:-" ولكن متى؟ متى سنشتري ثوب الزفاف، ونعد للحفل، ونتصل بمتعهد البوفيه، ونرسل الدعوات.. و..".

هزت (جيدا) رأسها بابتسامة هادئة واثقة:-" (فارس) سيتكفل بكل هذه الأمور".

شهقت (ليان) غير مصدقة ما ترى وتسمع:-" من أنتِ؟ ماذا فعلتِ بصديقتي؟! صديقتي لم تكن ضعيفة الشخصية أبداً لدرجة أن يسيطر عليها رجل، ويلغي تفكيرها، ويحل مكانها بأوامره ونواهيه!"

اضجعت (جيدا) على مقعدها الوثير جوار النافذة المطلة على القصر قائلة:-" (ليان) أنتِ أدري الناس بي، وتعلمين جيداً أنني لن أترك قيادتي لأي رجل. أولاً (فارس) لا يقودني كما لو كنت بهيمة صماء. وثانياً (فارس) ليس أي رجل. إنه الرجل الوحيد في العالم الذي أحبه!"

:-" أووه.. يا إلهي. (جيدا) أنتِ قليلة الخبرة بهذه الأمور.. لو كنتِ تركت نفسك لتتعرفي على الرجال كنتِ اكتسبت خبرة كافية للتعامل مع أمثال (أصلان) هذا".

احتدت (جيدا) بانفعال:-" أنا لست بحاجة لخبرة من هذا النوع لأتأكد إن كان (فارس) يحبني أم لا... أنا متأكدة من مشاعره ومشاعري".

تنهدت (ليان) بقوة:-" أنت لا تصغين إلي... حسناً يا (جيدا).. سأقولها لكِ رغم أنني أشعر كما لو كنت أتحدث مع جدار أصم.. حتى في أقصى حالات العشق والغرام، الرجل لا يفضل مسلوبات الإرادة اللاتي يعتمدن عليه مائة بالمائة".

:-" ما هذا الكلام السخيف؟! (فارس) لم يشكُ، بل كان مُصراً على تدبير كل الأمور بدون تدخل مني".
هزت (ليان) رأسها بأسى:-" لقد حذرتك يا (جيدا)، أرجو ألا تنسي هذا. والآن أنا مضطرة للذهاب، لقد تأخرت بالفعل على الأولاد.. سأتصل بكِ لاحقاً لأعرف آخر التطورات".
رغم أن (ليان) صديقتها الوحيدة المقربة منذ كانتا في المرحلة الابتدائية، وثقتها فيها بلا حدود، إلا أنها الآن تشعر بالاستياء الشديد... كيف لا تفرح لفرحها؟ ولم كل هذا الحقد على (فارس) وهي لم تره إلا مرة واحدة؟
وبعد تفكير مضني دام الليل بطوله، لم تخرج إلا باستنتاج وحيد.. لا شك أن صديقتها تغار منها لأن حياتها باتت مؤخراً باردة خالية من العواطف والمشاعر.. كانت هذه كلماتها في وصف حياتها مع (رؤوف) بعد إنجاب ثلاثة من الأبناء.
ولكن القلق بدأ يتسرب لنفسها عندما مر يومان من الثلاثة دون أي اتصال من (فارس)، ولا مرة واحدة. حتى إنه لم يرد على أي رسالة من رسائلها الكثيرة، والتي تركت معظمها على المجيب الآلي.
لكنها كذبت على (ليان) عندما اتصلت لتسألها عن أحوالها، فأخبرتها أن (فارس) أعد كل الترتيبات كما وعدها وأنها بانتظار اليوم السعيد.
ولم يكن سعيد أبداً... فقد حل اليوم الموعود محلقة في سمائه غيوم أحزانها، فلا أي أثر لفارسها الوسيم.
هل أصابه مكروه؟ هل وقع له حادث؟
لعب شيطانها بعقلها ليصور لها أبشع الحوادث التي يمكن أن تكون السبب في غيابه المريب.. وإلا فأي سبب آخر يمكن أن يؤخره عنها؟ اختلطت داخلها مشاعر الخوف والغضب ممزوجة بالسخط والقلق في هذا اليوم بالذات... اليوم الذي تنتظره كل

فتاة بلهفة وشوق، ليتوج كل أحلامها الوردية ويدشنها على أرض الواقع.

هرعت مسرعة لترد على رنين الهاتف بأمل ما لبث أن تحطم مع صوت (ليان) الذي جاء محبطاً لكل آمالها أكثر من أي يوم آخر:-" (جيدا)... هل من أخبار عن (فارس)؟"

ردت محاولة ألا يظهر إحباطها في صوتها:-" مرحباً (ليان) ... لقد.. أتصل (فارس) منذ قليل، وأعتذر لأن حريقاً ضخماً شب في أحد مخازنه، وسوف يأتي حالما يمكن السيطرة على الوضع".

لم تكن متأكدة إن كانت صديقتها صدقتها أم لا، ولكنها لم تر حلاً آخر أمامها إلا أن تعترف بأعلى صوتها أنها كانت بلهاء لتثق بهذا الفارس، وتجعل من مشاعرها غمامة تعميها عن الحقيقة، وكمامة تخرس لسانها عن البوح بما اعتقدت أنه ليس من حقها أي مشاعر رومانسية.

وضعت سماعة الهاتف بقوة لتنهار فريسة للأحزان والمخاوف من جديد..

صوت بوق مزعج أفاقها من سباتها. مسحت دموعها التي لم تجف وراحت تتلفت حولها بشرود.. تفكر ما الذي يحدث، وما هذا الصوت المزعج، ولم كل هذه الدموع؟

عادت لتضع رأسها مرة أخرى أسفل وسادتها لتكتم شهقاتها الناحبة، ولكن صوت نفير السيارة المزعج عاد ليدوي بمكان قريب من كوخها فدفعت عنها الوسادة هذه المرة بغضب، ثم أسرعت للنافذة المطلة على الشارع بكامل استعدادها للشجار عندما رأت سيارة (فارس)، وهو داخلها يطلق النفير على التوالي بانتظار أن ترد عليه، دون أن يرها من مكانها..

أسرعت للمرآة تمسح أثار البكاء بجد، واستخدمت كل ما استطاعت من مساحيق بسرعة قصوى، ثم ارتدت قبعتها وعدلت من هندامها، وهي تخرج قبل أن يستدعي الجيران الشرطة.

أخذت نفساً عميقاً قبل أن تفتح البوابة الصغيرة، وهي تخطو بثقة للأمام تتطلع إلى فارسها بلهفة غلبت على غضبها....
خرج من سيارته صافقاً الباب ثم أشار للبوابة الكبيرة:ـ" افتحي البوابة يا (جيدا)... لأُدخل سيارتي".
كتفت ذراعيها على صدرها مدعية البرود:ـ" ولماذا؟"
زوي ما بين حاجبيه مضيقاً حدقتيه وكأنه يحاول استيعاب ردة فعلها، وبدا كمن يحاول التحكم في عضلات وجهه لتستجيب وهو يرسم ابتسامة غريبة تاركاً جوار سيارته الفخمة ليقترب منها:ـ" حبيبتي.. لقد افتقدتك".
ردت بعينين مغرورقتين بالدموع:ـ" أحقاً؟!"
لم يبال بجمودها وهو يزداد اقتراباً ويلف ذراعيه حولها ضاحكاً:ـ" حبيبتي.. تبدين غاضبة. هل لي أن أعرف السبب؟!"
حتى هذه اللحظة كانت على عهدها مع نفسها في التماسك، وليس بعدها. إذ انهمرت دموعها وهزت أكتافها بعصبية لتبعد ذراعيه عنها قائلة بصوت متقطع:ـ" غاضبة!؟.فقط غاضبة ولا تعرف السبب؟ تباً لك.. لقد ظننتك مصاباً في حادث، أو بك مرض يمنعك من الرد على رسائلي واتصالاتي.. أخبرني يا سيد (فارس) أليس من المفروض أن يكون اليوم مناسبة خاصة؟ لي على الأقل.. فكما يبدو أنت لا تهتم بأي شيء غير نفسك".
رفع وجهها بلمسة من إصبعه أسفل ذقنها ثم همس بصوته المقتنع الذي يذيب الحديد:ـ" اليوم هو أهم يوم في حياتي أنا أيضاً، ومن المستحيل أن أنساه... لذلك انشغلت في الأيام الماضية لأستطيع التفرغ لأجازة شهر العسل، دون أي مقاطعة".
انفرجت أساريرها من بين أخاديد دموعها وتشبثت أصابعها ببذلته السوداء الأنيقة:ـ" أحقاً يا (فارس)؟ أحقاً لم تنس؟ ولكن.. لماذا لم تطلبني وتطمئنني؟ ثم كيف سنتزوج اليوم وأنا

لم أشتر ثوبي الأبيض بعد؟ ولم نُعد للحفل، ولم نتصل بأصدقائنا لندعوهم و.."

:-" (جيدا)... (جيدا).."

انتبهت لمقاطعته وقد وجّه نحوها كل سحره وجاذبيته وهو يشد على خصرها برقة هامساً:-" (جيدا) حبيبتي... كل هذه المظاهر الفارغة ليست في أهمية تواجدنا سوياً.. يجمعنا الرباط المقدس. أما الثوب الأبيض والناس وكافة هذه الأشياء فهي لن تزيد من سعادتي بكِ ولن تنقصها.. كل ما يسعدك يسعدني... وما يسعد كلانا الآن أن نتوجه للمأذون ليعقد قراننا وتكتمل سعادتنا.. أنا رجل غيور جداً، ولن أحتمل نظرات الناس لكِ.. لذلك فضلت أن نتزوج دون أن ندعو أي أحد".

:-" (فارس)... ولكن..."

:-" (جيدا)... المأذون بانتظارنا.. لو تأخرنا قد لا نجده، وبالتالي سنضطر للتأجيل، ولا أعلم إن كان متفرغاً في يوم آخر هذا الأسبوع، أم أن علينا انتظار موعداً آخر؟"

ردت بلهفة:ـ" لا... لا... حسناً.. انتظرني دقيقة واحدة فقط.. سأرتدي ثيابي".

:-" إذن أسرعي.. سأنتظرك في السيارة".

كانت كالمذهولة وهي في طريقها للداخل، لا تصدق ما يحدث... هكذا تكون أحاسيسها من قاع الحضيض لقمم السحاب حتى لا تستطيع الإمساك بها... ولكن بدون ثوب زفاف، ولا حتى أصدقائها يفرحون معها!؟

بابتسامة واهنة فكرت أنها لابد أن تحترم رغبة (فارس)، أليس هو حبيبها؟! ولكن (ليان) لابد أن تعرف...

بعد ان ارتدت ثوباً من قطعتين محتشم فاتح اللون كأقرب ما يكون للأبيض، ووضعت زهرة جوري حمراء من خيرات حديقتها على أطراف قبعتها، تجاهلت نفير السيارة يتعجلها

وأمسكت بسماعة الهاتف واتصلت ب (ليان) وقصت عليها ما حدث في عجالة بدون تفاصيل. وقبل أن ترد عليها عاد نفير السيارة يعلو، فأعادت السماعة مكانها بسرعة ولحقت به، لينطلق بالسيارة فور دخولها...
طوال الطريق حافظ كلاهما على لغة الصمت المتداول... هو غارق في أفكاره، وهي تحاول إقناع نفسها بالسعادة الكاملة من دون الفستان الأبيض -حلم كل فتاة من المهد- والخمار المطرز على شلالات شعرها الطويل، وباقة الزهور الفواحة البيضاء...
:-"(جيدا).. لقد وصلنا".
:-"(فارس)... أريد باقة من الزهور".
:-"عفواً!؟"
وعندما لاحظ التصميم على ملامحها تراجع عن موقفه:-" آه... حسناً.. باقة من الزهور للعروس.. لا بأس اسبقيني للداخل وسألحق بكِ بباقة الزهور لأحلى عروس".
وافقته بهزة من رأسها، وبعد عدة دقائق لحق بها لاهثاً، مقدماً لها باقة من الزهور البرية.. لم تكن فاخرة، فكما يبدو أنه قطفها من حديقة المبنى، ولكنها رغم ذلك أمسكتها بعد أن غمرته بنظرات شاكرة ممتنة وكأنه قطف لها باقة من النجوم.
:-" والآن حبيبتي... هل ندخل؟"
توقفت مسمرة في مكانها مرة أخرى فسألها بصبر مفقود:-"ماذا أيضاً؟"
:-"لقد نسينا أمراً هاماً آخر"
انعقد حاجباه مفكراً فهتفت:-"لابد أن أعطي توكيلاً بالزواج لشخص ما.. لا أستطيع تزويج نفسي بنفسي".
أومأ بغمزة من عينه:-"لم يفتني هذا الأمر".
اتسعت ابتسامتها بفرحة خاصة عندما دخلت لتجد مدير مدرستها بانتظارهم وعلى استعداد تام للقيام بالمهمة.

مر الوقت كالحلم، ولم تصدق نفسها حتى وهي تحدق بخاتم الزواج الذي يزين بنصرها، ورددت بينها وبين نفسها..
"لقد أصبحت زوجته... أنا زوجة (فارس أصلان)".
زفرت بتنهيدة راحة كبيرة والسيارة تنطلق بهما... كانت ما تزال سارحة مع بتلات الأزهار الساقطة في حجرها من باقة زهور عرسها عندما انتبهت لسؤاله:ـ" أين تقترحين أن نذهب للاحتفال بزواجنا.... السعيد؟ هل ترشحين مكاناً خاصاً"؟
:ـ" ألم تحجز مسبقاً كعادتك؟"
تنحنح مجلياً صوته:ـ" في الواقع.."
قاطعته بنفس عميق ملأت به الفراغ الذي بدأ بالاتساع داخلها:ـ" لم تجد الوقت الكافي... (فارس) اختر ما تريد.. أي مكان معك سيكون جنتي.. لن أعترض".
وبدأ الإحساس بالوجع يتزايد داخلها مع برودة تصرفاته، دون أن يبذل أي جهد لإرضائها... حتى عندما اختار أحد أفخر المطاعم، لم يكلف نفسه عناء البحث عما يرضيها.
وبفزع شديد راودها إحساس جديد لم تشعر به من قبل.. فهي لا تزال تكن له هذا الحب الكبير، ولكنها لا تنفك تشعر أن شيئاً ما علي غير ما يرام.. مهما حاولت تجاهله ولكنه بدأ يكبر، ويهدد بابتلاعها دون رحمة..
كانت الليلة حالكة الظلمة، فالقمر كقوس رفيع لا يكاد يلقي أي ضوء على ما حوله...سرت قشعريرة باردة في جسدها عندما نزل (فارس) ليفتح البوابة الكبيرة أمام سيارته... كان صوت صرير المفصلات الصدئة يضفي جواً متزايد الكآبة على مثل هذه الليلة، والتي من المفترض أن تكون مختلفة تماماً... هذا الصمت المطبق لم يكن تصورها أبداً عن يوم زفافها، ولم تستطع منع التساؤل من أن يقتحم سوداوية أفكارها..
"ترى أي شيء آخر في هذه الليلة سيكون عكس أحلامها؟"

(٩)

فتحت باب السيارة لتخرج، وفجأة انقلب الليل إلى نهار وصمته إلى ضجيج والتف جمع من أصدقائها حولها يهنئونها ويباركون زواجها...

نظرت ل(فارس) بتساؤل وهي شبه مخدرة لا تكاد تصدق ما يجري حولها.. لم تشعر بغضب زوجها مما يحدث، فقد كانت الصدمة لا تزال مستولية عليها، وهي تحدق بالمصابيح المعلقة والزينات والزهور في كل مكان...

ظهرت (ليان) من بين الجمع الغفير تضمها بشدة فسألتها مشدوهة:ـ" متى؟! متى تمكنتِ من ترتيب كل هذا؟"

ضجت (ليان) بالضحك:ـ" كونك مجرد حارسة للقصر لا يعني أنكِ لا تستحقين زفافاً محترماً".

:ـ" ما هذا؟ أهذه فرقة موسيقية؟ (ليان)! لا أدري..."

طفرت الدموع من عينيها وهي تهتف بصوت مختنق:ـ" لقد أنقذتِ لي ليلتي... شكراً لكِ".

:ـ" في الحقيقة.. لست وحدي من قام بكل هذا... الأولاد في المدرسة ساعدوني".

والتفت حولها صديقاتها يدفعنها، كما يدفع الرجال (فارس) إلى المكان المخصص للرقص ويهللون مطالبين العروسين بافتتاح الحفل برقصة شاعرية.. ثم دفعوها لتجد نفسها فجأة بين ذراعيه تتوسد صدره...

تجمدت ضحكتها عندما صدمها بضيقه الواضح مما يحدث...

ـ" (فارس).. ماذا بك؟"

سألها بضيق واضح من بين أسنانه:ـ" ما مدى معرفتك بكل هذه الفوضى؟"

أجابته بحدة فاجأته:ـ" صفر يا سيد (أصلان)... حتى أنني منذ ساعات قليلة كنت أجهل إن كنت ستأتي أم لا.. فكيف لي أن أرتب

كل هذا؟"
تراجع مغمغماً:-" (جيدا).. أنا لم أقصد أن..."
:-" أعتقد أننا مدينان لأصدقائي بالشكر والامتنان لهذه المفاجأة غير المتوقعة".
:-" آه.. بالطبع... بالطبع.. رغم أنني كنت أفضل لو كانت هذه الليلة ملكي أنا وأنتِ فقط".
لم تُتح لها فرصة للرد فهجمت عليهما جموع الراقصين وأبعدوهما عن بعضهما ليرقصوا رقصة جماعية صاخبة...
شيئاً.. فشيئاً.. بدأت تنسجم وتضحك غير عابئة بغضب زوجها الذي يبدو أنه يزداد ضيقاً بمرور الوقت، وعزت سبب ضيقه لكونه غريباً بين أصدقائها ومعارفها... وعندما انتبهت له مرة أخرى كان منشغلاً بأحاديث متفرقة مع بعض تلاميذها وأصدقائها...
:-" (جيدا)".
التفتت مجفلة لترى (مهاب) وقد غمر نظراته حزن داهم:-"(مهاب).. أهلاً بك... هل كنت مع العصابة التي أعدت هذه المفاجأة؟"
أطرق برأسه دون أن يستجب لدعابتها:-" أخيراً.. عثرتِ على فارسك..رجلك الذي سيحبك ويقدرك".
تنهدت بثقة:-" نعم يا (مهاب)...ألست سعيداً من أجلي؟"
:-" لو كنتِ سعيدة..نعم، ولكني أري في عينيك شيئاً آخر..أتمنى أن أكون مخطئاً".
:-" أؤكد لك أنك مخطئ... أنا مع (فارس) في قمة سعادتي التي حلمت بها دائماً".
رد بوجوم:-" أتمنى هذا من كل قلبي، ولكني أريدك أن تعلمي أنني هنا من أجلك، وأن تعتمدي على مساندتي لك في أي وقت.. أي وقت تشعرين فيه بالخذلان، لا تترددي في طلب المساعدة".

:-" (مهاب).. صدقني.. أنا...".
وضع يده أمام فمها راجياً:ـ" أريد منكِ وعداً..أنني أول من ستلجئين إليه وقت الضيق، وثقي أنني سأسدي لكِ النصيحة كأخ أكبر..لا أكثر ولا أقل".
:-"حسناً يا (مهاب).. أعدك، لو كان وعدي يشكل أهمية لك... أنا ممتنة لك فعلاً على عرضك."
:-" (جيدا).. أريدك لحظة... بعد إذنك يا (مهاب)".
غمغم هازاً رأسه:-" اعتنِ بها يا (ليان)".
:-"سأفعل يا (مهاب).. لا تقلق."
وبعد ابتعاده همست (ليان):ـ" مسكين أنت يا كتفي. ترى من سيبكي عليه أيضاً؟"
هزت (جيدا) رأسها شاردة وهي تراقبه مبتعداً:" لا أدري لماذا لم أحب هذا الرجل؟"
ردت (ليان) بزفرة عصبية رامقة صديقتها بنظرات حادة وهي تجذبها من يدها:ـ" لأنكِ يا صديقتي تهوين الصعاب، والرجال الداهية أمثال (فارس أصلان)..هذا هو السبب".
:ـ" حسناً..إجابة نموذجية..لماذا ندخل القصر؟ إلى أين تأخذينني؟"
ردت (ليان) دون أن تتوقف عن سحب (جيدا) خلفها أثناء صعود درج القصر للطابق الثاني:-" ستعرفين بعد لحظات".
وأخيراً وقفت أمام باب غرفة النوم الرئيسية، فهزت (جيدا) رأسها بتساؤل!!
فتحت (ليان) الباب ودفعتها للداخل... كادت تعيد سؤالها عندما انعقد لسانها من هول المفاجأة. فالغرفة تم تنظيفها وفرشها بمفارش بيضاء وأغطية فاخرة..
تقدمت (جيدا) بخطوات مرتعشة تتلمس الحشايا الناعمة للفراش، وعليها تمدد قميص أسود ذي حمالات رفيعة وقد غطي

نصفه الأعلى الدانتيل المخرم والنصف الأسفل من الشيفون الناعم...
اغرورقت عيناها بالدموع وهي تتلمس قميصها:-" متى؟ متى يا (ليان)؟"
أخرجت (ليان) دفعة كبيرة من الهواء من صدرها وهي تغالب دموع الفرحة في عينيها:-" صدقيني لم يكن سهلاً..ولكني أعرف مدى آمالك لهذه الليلة، ولم أشأ أن تتحطم مع أول صدام لكِ بالحياة الواقعية...على الأقل ليس من أول جولة. كما كان من المستحيل أن أقبل أن تكون ليلة زفافك في كوخ الحارس الحقير".
احتضنتها (جيدا) بقوة متمتمة:-" أوووه.. (ليان) يا صديقتي. لساني عاجز عن شكرك..لن أستطيع رد جميلك هذا أبدا".
مسحت (ليان) دموعها قائلة:-" أي دين هذا أيتها المخبولة ذات القبعة السخيفة؟ هل نسيتِ؟ لم يساندني أحد في زواجي كما فعلتِ أنتِ، وفي ولادتي الأولى والثانية.. ما فعلته أنا إنما هو رد جزء من ديني لكِ يا (جيدا)..أرجوكِ..اعتني بنفسك. والآن سأتركك لتستعدي وإياكِ أن يراك زوجك بهذا المظهر مرة أخرى...نريد سماع صوت صرخته المتفاجئة من آخر الشارع... سأرسله لكِ بعد قليل..اعتني بنفسك يا صديقتي".
ذهبت أخيراً بعد أن احتضنتها بقوة..
تمشت (جيدا) في أنحاء الغرفة تتأمل جمال الزينات والفرش الجديد، حتى الثريا تلمع بقوة وكأنها جديدة. دخلت الحمام لتزداد دهشتها، فصديقتها لم تنس أي شيء..لقد أعدت كل ما يلزم عروسين لقضاء أول ليلة بما في ذلك المناشف وعطور الحمام والشموع الفواحة...
أخذت نفساً عميقاً ثم وقفت تنظر للمرآة بعد أن خلعت نظاراتها ووضعتها جانباً... بللت وجهها بالماء البارد لتنتعش.. عادت

تنظر في المرآة بوجه محمر من الخجل، وهي تتذكر ذلك الثوب الشفاف الجريء..كيف سترتديه أمام (فارس)، وهو الذي لم يفكر بالتقرب منها ولا مرة بحميمية. ارتدت النظارة برد فعل طبيعي عندما سمعت صوت يناديها بالخارج. خرجت تستكشف الأمر، وفوجئت ب(فارس) يتلفت حوله باستحسان مشوب بنظرات ساخرة..

:ـ" (فارس)! ما الذي جاء بك؟..آه.. عفواً.. ولكن (ليان) أخبرتني أنها لن ترسلك إلا بعد..(فارس)..ماذا بك؟"

كان يضع إحدى يديه في جيب بنطاله، واليد الأخرى يمسك بسيجارته التي أخذ ينفث دخانها في الغرفة، وهو يجيل فيها النظرات المتفحصة حتى توقف عند غلالتها الرقيقة الملقاة على الفراش..التفت لها ليراقب ردة فعلها فتضرج وجهها بحمرة قانية...

شيء ما -أو صوت ربما- كان يصرخ داخلها، يحثها أن تركض إلى آخر مكان في الأرض..المهم ألا تعيش اللحظة التالية..تلك اللحظة التي ستنقش في ذاكرتها كوشم الجمر على الجلد، عندما واجهها بأبرد نظرات رأتها في حياتها، نظرات أبرد من نصل سكين غرزه في قلبها بلا رحمة، وهو يقول بصوت خالٍ من أي مشاعر إلا الاحتقار الذي يقطر من كل حرف فيها:ـ" (جيدا)... زواجنا كان غلطة ولابد من تصحيحها، وسوف نعمل على إلغاءه في أقرب وقت ممكن".

تهاوت على أقرب مقعد منها عندما عجزت ساقاها عن حملها بعد أن جفت كل قطرة دم تجري في شرايينها..

ظنت أن دهراً قد مر عندما وجدت صوتها المبحوح لتسأله بألم حاد يكاد يذبح حلقها:ـ" وما السبب.. إن كان لي حق السؤال؟"

وكأنه فوجئ بسؤالها:ـ" لماذا؟ أنتِ أدرى الناس بالإجابة على هذا السؤال.. أم ظننتِ أنني سأظل الزوج المخدوع، وآخر من

يعلم للأبد؟ كذبتك الحقيرة كان سيأتي لها يوم وتنفضح، وبرأيي اليوم هو اليوم المناسب قبل أن نتورط أكثر".
شدت على قبضتيها في حجرها وبدموع متحجرة سألته بصرير أسنانها في بعضهما:-" عم تتكلم؟ من فضلك أوضح".
رد بزفرة متفكهة:-" نعم سأوضح يا (جيدا). طبيعي ألا تعلمي.. فلم تتوقعي أن أكشف خدعتك بهذه السرعة".
صرخت بصوت يائس:-"بالله عليك عن أي خدعة تتحدث؟"
دار حولها وهو يتقدم نحوها، ثم جذبها من كتفيها غارزاً أصابعه في لحمها صائحاً بنبرة مزلزلة:-"غرفة رائعة.. تجهيزات فخمة..ألا تخشين أن تصل صاحبة القصر الحقيقية، لتجد حارسة القصر تستخدمه لأغراضها الخاصة؟ أيتها المخادعة الحقيرة".
دفعها لتسقط مرة أخرى على المقعد ورأسها يدور حتى ظنته يتكلم بلغة أخرى غير مفهومة:-" صاحبة القصر؟! ولكن..".
قاطعها بحدة:-" لقد عرفت كل شيء..لستِ إلا حارسة للعقار..لقد تأكدت بنفسي والمضحك أن الجميع يعرف إلا أنا.. المخدوع الوحيد. ولكن ما لم أعرفه تماماً، فقد اختلطت الأقاويل، بعضهم يقول إن اسمك مشابه لاسم العائلة المالكة للقصر، وبعضهم يؤكد أنك ابنة عم بعيدة من الفرع الفقير في العائلة، وأن مالكة القصر الحقيقية أعطتك الكوخ مقابل اعتنائك بالقصر والحديقة في غيابها.. أين الحقيقة في كل هذه الأقاويل يا (جيدا)؟"
لم تدر لِمَ لم تسِل دموعها.. لِمَ تحجرت في عينيه، وهي التي ظنت نفسها ستنهار من مواقف أقل بكثير من هذا الموقف.. ولكنها استجمعت بقاياها المشتتة بعد أن مزقها فارسها بسيفه البارد، ووقفت تسأله بصوت أكثر تماسكاً:-" لم أعرف.. لم أعرف أن اهتمامك بي ينحصر بملكيتي للقصر".
رفع يديه لأعلى بعد أن ندت منه صرخة استهزاء:-" ولماذا

بربك يهتم أي رجل..أي رجل بـ.. امرأة مثلك؟"
ازدردت لعابها بصعوبة قائلة:ـ" تعني.. عانس.. معقدة؟ ولكنني لم..".
أمال رأسه ناحية كتفه قائلاً بابتسامة ساخرة:ـ" أردتِ إبهاري.. أليس كذلك؟ وادعائك أنك مالكة القصر. أردتِ اصطياد زوج لتلحقي بمحطتك الأخيرة قبل أن يفوتك القطار، وكنت ضحيتك المثالية المتوقعة. لطالما تساءلت أي مجنونة هذه التي ترفض مثل هذه الثروة الطائلة التي عرضتها عليكِ قيمة هذا المكان الخرب..الليلة فقط عرفت الإجابة، ومبكراً جداً عما توقعتِ أنت..أليس كذلك؟"
رفع غلالتها بأصابعه باحتقار ورماها لتسقط على وجهها مردفاً بحدة:ـ" وقبل أن تكبليني بأطفالك الذين تتمنين لو ولدوا في القصر مثل أجدادك..يا إلهي.. لم تخدعني امرأة من قبل.. وددت لو دققت عنقك هذا بيدي".
تشنجت أناملها على القماش الناعم للغلالة الحريرية وهي تبعده عن وجهها.. وفجأة فقدت القدرة على الاحتمال فأطلقت لساقيها العنان ركضاً خارج الغرفة ولم توقفها الدرجات الكثيرة حتى الطابق الأرضي ولم تتوقف إلا عندما دخلت كوخها.. حمدت الله أن كل أصدقائها انسحبوا تاركين حديقة القصر صامتة حزينة لتكون الشاهدة الوحيدة على ليلة زفاف لم ولن تحدث...

*****

(١٠)

دخلت كوخها وأغلقت بابه بقوة واستندت عليه بعد أن أوصدته بالرتاج، وبهستيرية أجالت النظر حولها، ثم أسرعت لتغلق النوافذ وتسدل عليها الستائر.
دخلت غرفتها وأغلقت بابها وانهارت خلفه دون أن تقوى على الوصول حتى لفراشها، عندما اكتشفت أن أصابعها لا تزال قابضة على الغلالة السوداء الناعمة.
أغلقت عينيها بقوة متذكرة نظراته المحتقرة وكلماته المهينة، وراحت تلوم نفسها لأنها لم تصدق (ليان) ..لو صدقتها، أو صدقت ذلك الصوت الذي حثها على الهروب قبل أن تُطعن بكل قسوة. ظلت مكانها طوال الليل وحتى ضوء النهار. لم يكف عقلها عن استرجاع كل كلمة مذلة، لتشعر بالمزيد والمزيد من الألم والكرامة المسحوقة كأنها تعاقب نفسها.
عانت صعوبة بالغة في الوقوف بعد أن تيبست عضلاتها من الجلوس على الأرض الباردة لساعات، فسارت تتساند على الحوائط حتى وصلت للمطبخ. تناولت زجاجة الماء تعب منها تروي حلقها المتقشف من البكاء. وضعت إبريق القهوة في الكهرباء، وبانتظار إعدادها قامت بالتخلص من ملابسها المجعدة وارتدت ملابس منزلية خفيفة. وأثناء عودتها من المطبخ لغرفة المعيشة بكوب القهوة لمحت ظرفاً أبيض من تحت الباب.. فتحته بلهفة وفوراً تعرفت على خط (فارس) المنمق وكلماته الباردة..
"لا ترفعي دعوى بالطلاق لأنكِ لن تلمسي قرشاً واحداً من أموالي.. سأطالب بفسخ العقد لعدم إكمال الزواج.. عندما تصلك الأوراق لا تترددي في التوقيع عليها.. ولا داعي للمماطلة".
مزقت الورقة بعصبية حتى تفتت تماماً.. جلست على مقعدها المفضل جوار النافذة المغلقة ترتشف كوب قهوتها علّه يخدر

أحاسيسها المشتعلة، أو على الأقل تحاول التفكير بعقلانية. وفي النهاية كان اليأس هو النتيجة الحتمية لكل هذا التفكير.. الموقف كان أكثر وطأة على نفسها من أن يتحكم العقل في مصيره.. ظلت لأسبوع كامل تخشى حتى فتح النافذة، ولم ترد على أي اتصالات.. لعلهم يظنون أن ما شغلها هو العسل الذي أغرقها في حلاوته فارسها المغوار...

إنه غير موجود..

والآن أصبحت متأكدة تماماً عندما لم تجد سيارته في مكانها..

ارتدت قفازاتها المطاطية وحملت سطل عدة الزراعة لتعتني بحديقتها المهملة.. كان المشهد محزناً لزهورها وورودها الذابلة.. ركعت على ركبتيها تحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه..عملت بجد ونشاط ولكن.. الميت لا يعود للحياة.. والمبدأ يسري على النبات كالإنسان..

فجأة انتابتها نوبة هستيرية.. فصرخت بقوة وراحت يداها تحطمان ما تبقى من حديقتها.. وبدون وعي ظلت على هذا الحال حتى أنهكت تماماً..

عادت لكوخها تترنح لتجد نفسها جوار الهاتف تضغط على أزراره ليأتي صوت (مهاب) في الطرف الآخر.. استمعت لصوته وانتابتها رعشة شديدة وأجهشت بالبكاء دون أن تخرج كلمة واحدة رغم صوته المُلِّح يناديها بجزع:ـ" ألو.. ألو.. (جيدا).. أهذه أنت؟ لم لا تردين؟ هذا رقمك أمامي.. أنا متأكد أنها أنتِ.. هل أنتِ بخير؟"

ولكن لم تصله إلا شهقاتها المكتومة.. وضع السماعة وأسرع للمكان الوحيد الذي ترك فيه قلبه ولا يزال أسيره..

لم يصدق ما يراه وهو يتقدم بخطوات مترددة نحو الجسد المكوم على الأرض بجوار سماعة التليفون..

أسرع نحوها يساعدها على الجلوس منادياً بقلق:ـ" (جيدا)..

(جيدا).. يا إلهي.. ما الذي حل بكِ؟"
لم ترد عليه، فراح يخلع عنها جواربها المطاطية ويزيل الأوحال عن وجهها بمنشفة مبللة، دون أن تكف عن النحيب لحظة واحدة..
:-" (جيدا).. أرجوك حدثيني.. أين زوجك وكيف يتركك على هذه الحالة؟"
ردت بألم وعيناها شاردتان على باب الكوخ:-" لقد ماتت يا (مهاب).. زهوري ماتت.. انشغلت بنفسي ونسيتها.. ماتت ولن تعود مرة أخرى".
دفع خصلات شعرها عن وجهها للخلف متمتماً بابتسامة:-" أهذا كل شيء؟! أيتها الحمقاء.. اليوم.. لا.. بل الآن.. سأملأ لكِ حديقتك بزهور أجمل منها.. أهذا ما يبكيكِ يا (جيدا)؟"
هزت رأسها بقوة فضم كفي يدها لبعضهما وربت عليهما بقوة:-" حسناً.. سأقبل بهذه الإجابة مؤقتاً.. فقط أعدي لي فنجاناً من القهوة، حتى أذهب للمشتل لأحضر لك شتلات جديدة وأعود فوراً".
صاحت متفاجئة:-" أحقاً يا (مهاب)؟"
:-" بالطبع يا عزيزتي.. ولكن أعدي قهوة جيدة.. لا أحب القهوة الجاهزة".
هزت رأسها بابتسامة سعيدة:-" حسناً.. ولكن لا تنس زهرة الراعي.. أنا أحبها".
:-" لن أنسها.. المهم ألا تنسِي أنت.. اغسلي يديك جيداً قبل إعداد القهوة".
:-" بالطبع سأفعل أيها السخيف".
حينما عاد بعد أقل من نصف ساعة، كانت قد غطت شعرها وارتدت ثيابها المحتشمة واستقبلت شتلات الزهور الجديدة بانبهار، وانشغل كلاهما بزراعتها، حتى عندما انتهيا ووقفا

يراقبان نتيجة عملهما كان للقهوة مذاق مختلف..
تساءلت (جيدا) بدهشة:-" مذاق مختلف.. ماذا تعني؟"
جابت نظراته الدافئة على وجهها الشاحب:-" عنيت أن مذاقها بدون أن نتعب ونشقى تنقصه هذه النكهة المميزة".
:-" لقد عملت بجد وتستحق فنجاناً ثانياً".
مد يده بفنجانه لتصب فيه المزيد من السائل البني اللذيذ:-"شكراً سيدتي.. شكراً لك".
:-" أممم.. الشكر الأولى أعرفها، لأني صنعت لك قهوة أعجبتك.. ماذا عن الشكر الثانية؟ أنا لم أفعل من أجلها أي شيء.. بل أنت فعلت".
تنهد وأخذ رشفة من فنجانه:-" بلى.. (جيدا).. لقد فعلتِ.. نفذتِ وعدك لي، واتصلتِ بي عندما واجهتك متاعب.. (جيدا).. هل ستحكين لي؟"
أطرقت برأسها:-" نعم يا (مهاب).. أنا بحاجة لمشورتك.. ولكن أرجوك.. لا تقس في حكمك عليّ".
:-" أنتِ آخر مخلوقة في الوجود أفكر - مجرد تفكير- في أن أقسو عليها".
بدأت بسرد ما حدث، رغم أنها لم تستطع تحري الحقيقة في كل رواياتها، فأخفت إحساسها بالمذلة والمهانة، ولكنه قرأها في كل دمعة حبيسة رموشها...
وختمت:-" أنا الآن بانتظار أوراق المحامي لأوقعها".
:-" هل تريدين سماع مشورتي فعلاً؟"
:-" لهذا السبب لجأت لك، ولم أطلبها من (ليان)".
:-" حسناً.. ما حدث من ذلك الوغد هو أفضل ما يمكن أن يحدث في ظل الوضع الراهن، فقد ظهر على حقيقته قبل أن يتحول الزواج لحقيقة.. والأفضل أن تسرعي بتوقيع الأوراق بدون تفكير".

أجفلت متراجعة، رغم أنه لم ينصح إلا بالحل المنطقي:ـ"ولكن.. (مهاب) ماذا تقول؟!.. أنا".
:ـ" اسمعيني يا (جيدا).. لقد تأكدتِ أن هذا الرجل تزوجك طمعاً بقصرك، وليس حباً بكِ".
هزت رأسها بألم فتابع:ـ" إذاً تخلصي منه قبل أن يدرك خطأه ويتأكد أنكِ بالفعل المالكة الحقيقية للقصر، وعندها لن يوافق على تطليقك أبداً".
اتسعت حدقتاها مذهولة:" أوه! كيف لم أفكر بهذا الأمر؟"
رد ضاحكاً:ـ" أراهن أنكِ نسيت ِأنك مالكة القصر حقاً".
:ـ"هل تصدق ربما أكون قد فعلت من قسوة اتهاماته لي؟"
:ـ"هذا الوغد لا يستحقك يا (جيدا).. هذه كانت فكرتي عنه منذ أول مرة رأيته فيها".
:ـ" نعم... قالت لي (ليان) نفس الشيء..يبدو أنني الوحيدة التي كنت عمياء بينكم".
:ـ" أنت تستحقين الأفضل..لا تدعي هذه الحقيقة تغيب عنك أبداً.. أبداً. لقد تأخر الوقت، لابد لي من الذهاب..هل سنراك غداً في المدرسة؟"
همست مترددة:ـ" نعم..أود لو أذهب، ولكن..إذا سألني أحد؟"
:ـ" لا تهتمي بالناس ولا تخبريهم بأي شيء.. دعي فضولهم يقتلهم ..طاب مساؤك يا (جيدا)".
:ـ" (مهاب)..شكراً لك."
بعد ذهاب (مهاب) التفت حولها لتفتت وحشة الغربة ما تبقى منها بعد العاصفة التي أبقتها كجذع نخلة باسقة ولكن بدون أوراق أو ثمار...
غامرت بتحدي لعلها تفيق من صدمتها فوجدت نفسها تسير باتجاه القصر ولم تتوقف حتى وصلت للغرفة الرئيسية حيث كان من المفترض أن تقضي ليلة زفافها فيها.. آاااه.... كم بذلت

(ليان) مجهوداً كبيراً في تنظيف الأتربة المتراكمة لسنوات، وفرشها بهذا الشكل الجميل في زمن قياسي..يا له من إهدار..
وقفت على عتبة الباب غير قادرة على أن تخطو خطوة واحدة داخل الغرفة، فقد صدمتها الرائحة العبقة فيها. لم تكن لمعطرات الجو والشموع التي كلفت أصدقائها مبالغ طائلة، بل كانت رائحة سجائر ممزوجة بعطر رجولي قوي تعرفه (جيدا).
كان منظر الفراش منزوع الأغطية صدمة أخرى تدل على قضائه الليل على فراشها.. شدت على مقبض الباب بقوة وأسندت رأسها عليه حتى تمالكت نفسها. كيف استمتع بالنوم على فراشها بعد أن ذبحها بكلامه المسموم؟
أغلقت الباب بقوة متذكرة (ليان).. إنها مدينة لها باعتذار كبير، وبتفسير مقتضب، وبعدها ستغلق هذه الصفحة السوداء من حياتها للأبد..

*****

(١١)

بالكاد بدأت بمزاولة روتين حياتها المعتاد دون أي تغيير بعد أن أكدت للجميع أن زوجها رجل الأعمال يتطلب عمله السفر باستمرار، ولم يشك أحد في ادعائها. وحدهما (رؤوف) و (ليان) عرفا الحقيقة..

كان جرحها قد بدأ بالالتئام دون أن تدرك أنه ملتهب بدرجة سيئة، عندما وصلها بالبريد ظرفان. أحدهما كما توقعت أوراق بطلان الزواج، ولدهشتها الشديدة كان الثاني رسالة من ذات المحامي. عندما قرأتها تملكها رعب شديد، فقد كانت تحتوي على دراسة كاملة لعمر القصر التقريبي والحالة السيئة التي وصل إليها وكمية الصيانة والترميمات التي يحتاجها، ومع الدراسة إنذار مبطن أنها إن لم تستجب للبيع سوف يقوم المحامي بإبلاغ الجهات المعنية لتأميم القصر لصالح الدولة باعتباره أثراً لابد من الحفاظ عليه.

قلب (مهاب) الأوراق للمرة الثالث بشفاه مقلوبة ثم هز رأسه:-"التهديد واضح يا (جيدا). ولكن الغريب..هل أنتِ متأكدة أن هذا المحامي هو محامي (فارس)؟"

:ـ" بالطبع. لقد وصلتني أوراق بطلان الزواج من نفس المكتب."

حك رأسه مفكراً:-" هذا عجيب فعلاً.. لو كان (فارس) يعلم أنكِ صاحبة القصر، لماذا قام بكل هذه المسرحية؟ ولماذا كلف نفسه عناء تهديدك، إلا إذا كان يساومك على الطلاق، أو يشك أنكِ ستحاولين التمسك به، ورفض الفسخ".

:ـ"لا.. لا أعتقد.. سأذهب بنفسي لهذا المحامي الوقح وأوقفه عند حده، وأسلمه الأوراق موقعة".

:-" سآتي معك."

:-" (مهاب).. أنا لست طفلة.. أستطيع خوض معاركي بنفسي، خاصة تلك التي يكون فيها قصري في خطر."
رد بابتسامة فخورة:-" ولا ذرة شك في قوتك يا (جيدا)..أنتِ فتاة قوية، يلزمك أكثر من إعصار على شاكلة (أصلان) هذا كي يستطيع خدش معدنك الأصيل".
:-" أنت حقاً ترفع معنوياتي".
:-"بالمناسبة.. كيف حال أزهاري؟"
هتفت مرتبكة وهي تبتعد:-"إنها رائعة."

في اليوم التالي اعتذرت عن حضور حصصها، وقادت سيارتها متوجهة للمدينة عاقدة العزم على إنهاء مسألة القصر هذه مرة..وللأبد..
وقفت أسفل البناية الضخمة حيث عنوان مكتب المحامي.. استجمعت شتات قوتها وظهر التحدي في زرقة عينيها الداكنتين وهي تصعد الدرجات القليلة حتى المصعد..
أحست بقوتها تتزايد، خاصة وأنها بتلك الملابس لا تلفت انتباه أي أحد. لم يضايقها هذا بالمرة، بل كان من الراحة عدم حملقة الناس في شعرها وجسدها باستمرار كما كان يحدث في الماضي.
دخلت المكتب الفخم في الطابق الخامس، حيث كان مكتب السكرتير يتصدر الغرفة:-"عفواً..أريد لقاء السيد (كمال شوكت) لو سمحت".
رفع الشاب رأسه ثم أعادها لأوراقه قائلاً:-" هل لديك موعد مسبق يا آنسة؟"
أخرجت الظرفين من الحقيبة:-" لقد وصلتني هذه الأوراق من مكتبكم، وأريد مناقشة فحواها معه شخصياً".
رد بحدة:-" بدون موعد سابق مستحيل.. الأستاذ مشغول".

بدأت تحتد بدورها واليأس يتسرب لنفسها ألا تنتهي من هذا القيد الخانق اليوم كما كانت تأمل:ـ" اسمع يا هذا..الأمر جد خطير، وإذا لم أقابل أستاذك سوف أخرج من هنا لأرفع قضية على مكتبكم هذا، ولن يشكرك أستاذك بينما يمكننا مناقشة الأمور بهدوء".

زفر بضيق عندما لمح تصميمها، فسألها بضيق:ـ" هلا انتظرت بضع لحظات.. وسأحاول تدبير الأمر".

جلست على أحد المقاعد تتطلع بالوجوه الفضولية حولها يملؤها إحساس غامر بالرضا عن النفس.. لو سارت الأمور على هذا المنوال لأنهت كل قضاياها المعلقة اليوم بنجاح.

استعدت للنهوض عندما فُتح الباب ثم تراجعت منكمشة عندما استُجيبت صلواتها الخفية في لحظة وظهر أمامها من دعت لرؤيته، ولكنه لم يكن وحيداً.. فقد كان يحيط ذراعه بجسد متمايل.. إنها تلك الفتاة المائعة التي كانت معه في يوم الاحتفال.. كانت عيناه تلتهمان كل تفاصيل ملامحها الناعمة المصبوغة.. نهشتها الغيرة خاصة عندما لم يلحظ وجودها، فقد كانت أمامه تماماً!! وربما رآها وتجاهلها.

*****

(١٢)

لأول مرة تعرف معنى جملة سمعتها في أحد الأفلام ولم تدرك معناها حتى تلك اللحظة وهي تراقبه بعينين غائمتين يسير بصديقته محتضناً جسدها الضئيل.

'وكأنهما يسيران على قبرها'

:-" سيدتي ..هل أنت بخير؟"

:-"آه..عفواً.. هل ناديتني؟"

:-"نعم.. لم تخبريني باسمك، ولكن الأستاذ وافق على رؤيتك لمدة ثلاث دقائق فقط".

:-" آه.. حسناً.. هذا كرم منه.. شكراً لك".

ضاع كل ما حشدته داخلها طوال اليوم لتفرغه في المحامي.. أغمضت عينيها بألم ثم فتحتهما بقوة محاولة أن تنفض ذلك الشعور بالضعف والذي هاجمها بضراوة في لحظة المواجهة..

:-"مرحباً.. هل أعرفك؟ نحن لم نلتق من قبل".

ردت بصوت غريب:-" عجباً.. لم تعرفني ووصلت بك الوقاحة لتهديدي".

ثم رمت له بالظرف الأول..

تصفح الأوراق ثم هز رأسه بابتسامة مقيتة:-" آه.. هذا يعني أنكِ الآنسة (جيدا)، صاحبة القصر العتيق.. هل معكِ ما يثبت أنك مالكة القصر؟"

ردت بحدة:-"وما شأنك أنت؟"

:-" شأني يا آنسة بالطبع، وإلا فبأي حق تتطلعين على بريد الغير؟ هذا التصرف يعتبر في عرف القانون جُنحة، أستطيع الزج بك في السجن بسببها".

هزت رأسها باستهزاء وأخرجت صك ملكية القصر، اطلع عليه ثم اعتدل:-" أعتذر عن سوء التفاهم يا آنسة.. لن تتخيلي عدد المحتالات اللاتي يمكن أن يدعين ملكيتهن لقصرك.. هل تشربين

شيئاً؟"
:ـ" لا يا سيد (شوكت).. لا أريد سوى أن تبتعد عني وعن قصري.. أنا لا أخافك، وسأحاربك لو اقتضى الأمر لأخر يوم في عمري إذا شعرت أنك تشكل أي تهديد على قصري".
:ـ" دعيني أشرح لك من فضلك".
قاطعته بحدة:ـ" أنا هنا لأوضح لك الأمور، لا لأستمع لشرحك.. لن أكررها قصري ليس للبيع، لك أو لغيرك..وداعاً..آه.. بالمناسبة.. هذه الأوراق سلمها لموكلك، فقد وقعتها".
اتجهت للباب بينما يقرأ هو الأوراق، وفجأة انتفض من مكانه وكأن وحشاً خرج من الأوراق لينقض عليه..
:ـ" انتظري..هل أنتِ زوجة (فارس أصلان)؟"
ردت ببرود وهي تمسك بمقبض الباب:ـ" بعد توقيعي لهذه الأوراق لم أعد كذلك".
:ـ" انتظري يا آنسة..أعني يا سيدتي.. لم نكن نعرف..أعني..لا شك أن الأمر اختلط عليكِ. ولكن الأوراق وصلتك من شخصين مختلفين في المكتب، لذلك لم نلحظ تشابه الأسماء".
رفعت حاجبيها بسخط:ـ" هذا من الواضح طبعاً، وإلا ما فسخ موكلك العقد".
:ـ" سيدة (جيدا)..أرجوكِ..انتظري قليلاً لنوضح الأمور".
:ـ" لا وقت لدي يا أستاذ..وكما فهمت من مساعدك أنك رجل مشغول".
لم ينجح في إيقافها مرة أخرى..انطلقت مغادرة بابتسامة متحسرة على النفس.
انتظرت وقتاً طويلاً حتى وصل المصعد بعد أن كادت تفكر بالنزول على الدرج لولا مزاجها السيئ، وتمنت لو طاوعت نفسها بعدم الانتظار، عندما فُتح الباب لتراه أمامها وكأنه بانتظارها..

تمسكت بحقيبتها لتستمد منها الشجاعة وهي ترد على نظراته المتفحصة:ـ" أعتقد أنني عرفت سر تأخر المصعد.. كم هو سريع محاميك هذا.. لا شك أنه يستحق كل قرش من أتعابه".
وقبل أن تفكر بالهروب كانت أصابعه تطبق على مرفقها ليشدها إلى جواره هامساً:ـ" اهدئي يا (جيدا).. ولا داعي لإثارة جلبة لا لزوم لها".
أغلق باب المصعد عليهما وضغط زر النزول للطابق الأرضي.
قالت ساخرة:ـ" كيف استطعت التخلص منها بهذه السرعة؟"
رد ببساطة:ـ"لم يكن التخلص منهن في أي وقت مشكلة ذات بال".
:ـ"بالطبع أنا خير دليل على نهجك هذا في الحياة. ما زلت لا أفهم.. ماذا تريد مني يا سيد (فارس)؟"
:ـ"ليس في المصعد يا زوجتي العزيزة، بل على مائدة الغداء".
وعندما تطلعت نحوه بدهشة تابع بتأكيد:ـ" نعم..أنا أدعوك للغداء..ما الغرابة في هذا؟"
لم تطل دهشتها عندما فتح باب المصعد، وأشار لها بأدب أن تتقدمه فابتلعت تعليقاً ساخراً، وعندما وصلا الشارع التفتت نحوه متطلعة لوجهه الرجولي بظلال لحيته الخشنة.
أبعدت الضعف عنها فوراً وواجهته:ـ" (فارس).. لم يعد يجمع بيننا إلا ورقة فسخ عقد الزواج، ولا أظن أن سيرتك الذاتية معي تسمح بوجود أي صداقة من تلك التي نسمع عنها بين المطلقين هذه الأيام".
:ـ" (جيدا).. أنا لم أطلقك.. ليس بعد".
تراجعت شاحبة:ـ" ماذا؟"
رد ببساطة:ـ" أنا لم أوقع أوراق الطلاق.. وبصراحة لن أفعل".
ردت ضاحكة:ـ" بالطبع لن تفعل، بعد أن أكد لك محاميك البارع أنني المالكة الفعلية للقصر".

صمت لحظة ثم رد بضيق:-" تريدين مني الاعتراف؟ حسناً.. لقد كنت أحمقاً ومتهوراً و...عديم الذوق. امنحيني فرصة واحدة يا (جيدا) لأثبت لكِ كم تغيرت".
أخذت نفساً عميقاً:-" حسناً.. سأعطيك فرصة واحدة، ولكن ليس لتبرر أو تدافع، بل لأعرف سر اهتمامك الغريب بقصري حد التلاعب بالعواطف، وصولاً ..للزواج".
أشار لها لتتقدمه حيث مطعم إيطالي أسفل المبنى. بعد أن أخذ الحاجب معطفيهما وجههما النادل إلى مائدة بالقرب من النافذة تطل على الشارع ثم أضاء الشمعة الوحيدة وسيط المائدة.
رمقته بسخرية:-" ربما ظننا حبيبين نبحث عن الرومانسية أو زوجين في شهر العسل".
كانت تتكلم بحدة حتى لا تسقط مرة أخرى تحت سنابك جاذبيته، وبسهولة تذكرت كلماته الجارحة وإهاناته المذلة في ليلة زفافها..احتدت ملامحها ونفخت الشمعة لتنطفئ معها آخر تأثيراته عليها.
:-"ماذا تأكلين؟ هل أختار لكِ أنا؟"
:-" أنا هنا لغرض واحد يا سيد (أصلان)، وهو ليس الطعام".
:-" آه..تريدين معرفة سر اهتمامي بالقصر..هل لي بسؤال أولاً كيف أن معظم أصدقائك وطلابك يطلقون عليك"حارسة القصر"؟
:-" هذا لقب أطلقته (ليان) صديقتي عندما تركت القصر وسكنت الكوخ، والأولاد يصدقون ما يسمعون".
:-" آه..يبدو أنني أستحق هذا العتاب..جاء دوري للتفسير".
:-" نعم.. ومن فضلك هذه المرة حاول أن تكون صادقاً".
:-" أنتِ من أجبرني على اتخاذ هذا الطريق عندما رفضت كل العروض للبيع".
:-" والسبيل الوحيد كان الزواج .. و.. ادعاء الحب".

تنهد بقوة:ـ" في الفترة الأخيرة قمت ببعض الاستثمارات الفاشلة، وعندما سمعت عن قصرك بدا لي مشروعاً ناجحاً يعوضني بعض خسارتي..ولكنكِ كنتِ عنيدة جداً".
رددت بذهول متألمة لا تصدق ما تسمع:ـ" أهذه حجتك فقط؟ أموال واستثمارات؟ أهذه مبرراتك للتلاعب بمشاعري وإهانتي؟"
ترقرقت الدموع في عينيها، فمد يده ليمسك بيدها فسحبتها بسرعة صارخة:ـ" تباً لك.. إياك أن تلمسني، وإياك أن تقترب مني أو من قصري. وحاول تسريع معاملات فسخ هذا الزواج بسرعة كما اتفقنا، فما عدت أطيق البقاء لحظة أخرى تحت مسمى زوجتك".
وقفت تزغر له باحتقار شديد وسارت مبتعدة، ثم عادت وكأنها تذكرت شيئاً فمدت يدها داخل حقيبتها وأخرجت خاتمه وألقته على المائدة:ـ" أعتقد أن الحسناء التي كنت تلتهمها بعينيك وتحيطها بذراعيك تستحقه أكثر مني. لقد قدمت لك خدمات جليلة.. بعكسي".
ظل مذهولاً في مكانه يحدق بالخاتم..لا يصدق أن المرأة التي لهى بعواطفها حتى تدلهت في غرامه كالمتيمة، هي نفسها التي رمت له خاتمه أمام كل الناس في المطعم، فأصبح مثار سخرية الجميع.
ومع شعوره بالغضب كسره الإحساس بالمهانة، وهو الذي لم يتخيل ذلك للحظة منذ اتصل به محاميه يخبره أن زوجته هي المالكة الفعلية للقصر. فقد تصور أنها ستسقط مرة أخرى صريعة هواه ولن تستغرق منه سوى اعتذار ولمسة من يده تذيبها..لأول مرة تفاجئه امرأة، وليست أي امرأة.. بل هي أقل من أي امرأة عرفها.. ورغم ثقته في حبها له إلا أنها ألقت كل هذا وداست عليه بكل سهولة...

انحنى النادل أمامه:-" سيدي.. هل تود طلب الطعام الآن؟"
انتبه من شرود أفكاره للنادل فهز رأسه متمتماً:-" كوب ماء.. فقط.. كوب ماء".

*****

(١٣)

انتفضت (ليان) فزعة من مكانها عندما استمر رنين جرس الباب بدون انقطاع، وعندما وصلت إليه لفتحه وكل عصب في جسدها ينتفض قلقاً من هذا الطارق المزعج كان (رؤوف) قد سبقها.. حدقا ببعضهما بدهشة متزايدة ثم فتح الباب ليشهقا كلاهما بصوت واحد:ـ" (جيدا)؟"

كانت ترتعش من قمة رأسها لقدميها، فأسرعت (ليان) تضمها بقوة وهي تُدخلها للبيت..

أشارت (ليان) من فوق رأس صديقتها المنهارة لزوجها فهز رأسه بتفهم:ـ" اصحبيها إلى الأعلى وأنا سأعتني بالأطفال، وسأعد لكما قدحين من الشاي".

بعد فترة من الشهقات الباكية والنحيب المستمر تركتها (ليان) حتى أفرغت تماماً كل دموعها. بالكاد استطاعت الإمساك بقدح الشاي بين يديها المرتعشتين:ـ" (جيدا)..حبيبتي..ارتشفي ببطء.. (رؤوف) أضاف لك بعض الكاموميل على الشاي سيساعدك على الاسترخاء حبيبتي واستعادة هدوئك".

تمتمت بصوت خافت متقطع:ـ" ليـ.. ليس لي أهل ألجأ لهم سواكم".

نهرتها (ليان) بحدة:ـ" كُفي عن هذا الهراء، واشربي الشاي وبعدها سنتحدث".

مع آخر رشفة من فنجانها كانت نوبة الارتعاش قد توقفت وبدأت تحكي ل (ليان) بصوت ضائع النبرات في متاهات أحزانها..

أنهت حكايتها بلوم نفسها:ـ" أعلم أنك حذرتني وتجاهلت كل نصائحك بغرور وغباء".

أمسكت (ليان) يديها تشد عليها:ـ" أنا نفسي لم أتوقع أن يكون بكل هذه الحقارة.. لا تقسِ على نفسك بهذا الشكل.. إن سألتني

رأيي أنت تستحقين التهنئة".
همهمت (جيدا) بشبح ابتسامة ساخرة:ـ"تهنئة؟! أي تهنئة في هذه المشكلة التي لا خلاص منها؟"
:ـ"بالطبع تهنئة على معاملتك له اليوم.. أؤكد لكِ أنه يتمنى لو صفعته في ميدان عام أفضل من رفضك له بهذا الشكل".
صاحت بحنق ودموعها تسيل بغزارة:ـ" أوووه (ليان) ولكني لم أخبره عن رأيي فيه.. أسرعت بالخروج قبل أن ينهار تماسكي وأصبح أضحوكة نفسي قبل الناس".
حاولت (جيدا) إخفاء وجهها بيديها عن صديقتها فهتفت (ليان) بحدقتين متسعتين:ـ" (جيدا).. ألا زلت تحبين ذلك الوغد الكاذب؟"
تنهدت لتخرج السر الذي ضاق به صدرها:ـ" بلى.. هذه معظم مشكلتي يا صديقتي.. مشكلتي التي لا خلاص منها. لو اكتشف (فارس) مقدار حبي له سيلهو بي من جديد، ولن أستطيع ردعه هذه المرة".
:ـ" أووه.. أيتها المسكينة.. هل أنتِ واثقة أنه لن يوقع على أوراق بطلان الزواج؟"
:ـ" بعد أن تأكد أنني مالكة القصر لن يوقع أبداً.. كوني واثقة من هذا.. فهو صياد، ولن يترك فريسته تفلت من بين مخالبه أبداً".
:ـ" اهدئي.. لنفكر بطريقة عملية لحل المشكلة. أعتقد أنكِ لابد أن توكلي محامياً ليرفع لكِ قضية للخلاص من هذا الزوج.. ابن عم (رؤوف) محامي بارع. أعتقد أنه لن يرفض قضيتك.. سأحدثه بنفسي".
احتضنتها (جيدا) بقوة بتعبير سخي عن امتنانها:ـ" أنتِ نعم الصديقة.. وأعتذر إن كنت أثقل عليكِ بهمومي.. ولكني.."
:ـ" أيتها البلهاء.. أنا وأنتِ أخوات ولسنا مجرد صديقات".

تمتمت (جيدا) بتأثر:ـ" ولكني مدينة لكِ باعتذار.. عندما كنت تحذرينني من (فارس).. ظننت للحظة.. فكرت أنكِ..."
وضعت (ليان) يدها على فمها لتمنعها من الاسترسال:ـ" ليس عليكِ أن تعتذري.. أنا أفهم.. لا بأس يا صديقتي.. لقد دعوت الله كثيراً أن أكون مخطئة".
صاحت (جيدا) بحنق:ـ" لماذا كنتِ واثقة لهذا الحد؟ ولماذا كنتُ عمياء لهذا الحد؟ لماذا لم أره كما رأيته أنتِ؟"
تنهدت (ليان):ـ" حبيبتي.. ألم تسمعي عن مقولة 'مرآة الحب العمياء'؟ لست وحدي.. كلنا رأيناه. لم ينظر لكِ كرجل مغرم.. ولكنكِ من شدة غرامك لم تلحظي".
:ـ" نعم.. إشارات كثيرة فاتتني مع أنها كانت واضحة.. قولي عني غبية ولكنني ما زلت مصرة أن الحب الذي أحلم به لا يزال له وجود.. رغم كل شيء".
******

(١٤)

استيقظت لاهثة من كابوس مزعج. امتدت يدها في الظلام لتنير المصباح الجانبي ثم تلفتت حولها لتتأكد أنها في بيتها، وعندما اطمأنت للهدوء حولها أعادت ظهرها لتستريح على الوسادة وهي تمسد عنقها وكأن (فارس) ما يزال يطبق بيديه عليها...
مر أسبوع كامل منذ لقاءهما الأخير في المطعم وقد نفذ صبرها من الانتظار.. لا شك أن إنذارها الذي أرسلته عبر محاميها الجديد قد وصله الآن.. تُرى كيف ستكون ردة فعله؟
كان الصباح التالي هادئاً مشمساً مناسباً تماماً للاعتناء بالحديقة.. ارتدت شورتاً قصيراً وبلوزة خفيفة بحمالات رفيعة، وارتدت قفازاتها الجلدية لتحمي يديها، وحملت سطل العدة متوجهة للحديقة بعد أن عقصت شعرها الطويل ذيل حصان يتأرجح على ظهرها بدلال، شعت كل خصلة فيه تحت أشعة شمس الصباح بتموجات مشرقة..
شرعت بالعمل بسعادة، فقط عندما تكون بين نباتاتها تنسى كل همومها..
كانت منهمكة تماماً في العمل وقد بدأت ذرات العرق تتسرب من جبينها على وجهها وهي تنزع الحشائش الضارة بعزم، عندما فجأة جفت كل نقطة دم في جسدها وهي تسمع ذلك الصوت يأتيها من أعلى.. صوت لن تنسه ما حيت، ولو بعد سنوات:-"هذه ملكية خاصة يا آنسة.. وأنت تعتدين عليها".
من شدة ارتباكها وهي تتلفت باحثة عن مصدر الصوت انثنت قدمها تحتها ووقعت في الطين، لكنها لم تبالي وهي ترفع رأسها لترى (فارس) واقفاً شبه عاري إلا من شورت قصير وقد عقد ذراعيه على صدره يراقبها بتسلية:-" هل أكلت الهرة لسانك؟"

متى وكيف جاء ولم تر سيارته؟ وبأي حق يستبيح دخول

قصرها والتصرف فيه وكأنه بيته؟
أفاقت من ذهولها على صوته من جديد قبل أن يختفي:ـ"انتظري عندك..سآتي لمساعدتك".
وسط كل هذه الفوضى من الارتباك أدركت أنه لم يتعرف عليها. لذا، فما أن اختفى حتى لملمت عدتها بسرعة البرق وركضت عائدة لكوخها، مبتعدة عن طريقه لو ساء حظها أكثر وكان أسرع منها..
أوصدت الباب خلفها لاهثة وأسرعت تتخلص من ثيابها الموحلة وارتدت تلك المعتادة، حتى أنها بالغت فارتدت جوارب ثقيلة وغطت شعرها بقبعة صوفية. وعندما بدأت تستعيد هدوئها رأت عدة العمل بالحديقة تتوسط غرفة المعيشة، فأخفتها في الخزانة لاهثة لا تصدق ما حدث لها..
طرقات على الباب أعادت لها توترها، ففركت عينيها وكأنها استيقظت لتوها وسألت من خلف الباب بتوجس:ـ" من.. من بالباب؟"
رد صوت نافذ الصبر:ـ" أنا.. أنا (فارس) يا (جيدا).. أفتحي الباب".
فتحت الباب بحدة لتواجهه بشرارات تكاد تحرقه من حدتها:ـ"أنت؟ كيف دخلت؟ وما هذه الملابس التي ترتديها وكأنك تقيم هنا؟ متى وصلت؟"
:ـ" في الليل، ولم أشأ إزعاجك فبت ليلتي في القصر. تركت سيارتي خارج البوابة وقفزت من فوق السور".
:ـ"هذا اعتداء على ملكيتي أيها المقتحم اللص..سوف أتصل بالشرطة".
رد بهدوء وبرود متناهيين:ـ" بأي تهمة؟ بأن زوجك قضى ليلته نائماً بعيداً عنك وتركك وحيدة؟ أهذه جريمتي الوحيدة يا (جيدا)؟"

احمر وجهها بقوة ومدت يدها لتصفعه:ـ" أيها الوقح".
أمسك يدها قبل أن تصل لوجهه ثم دفعها للداخل وأجلسها على أحد المقاعد بعنف:ـ" اجلسي يا (جيدا).. لنتفاهم".
حاولت الوقوف ومجابهته مرة أخرى فدفعها لتعود مكانها بخشونة، فصاحت حانقة:ـ" لا مجال للتفاهم معي.. لقد أرسل لك محامي الخاص إنذاراً، وإن لم تبدأ الإجراءات فوراً سأرفع عليك دعوى قضائية".
جلس على المقعد المقابل باسترخاء وكأنه في بيته، فأخذت تتأمل ملامحه بلهفة خلسة من أسفل نظاراتها، وانتابتها موجة ضعف مفاجئة، فغمرها شوق وحنين للرجل الذي اشتاقت لوجوده وخذلها.. للرجل الذي آمنت به وخالفت كل منطق لتحقق به حلمها، فحول حلمها إلى كابوس دون أي يرأف بقلبها الذبيح.
نفذ لروحها الشقية بعينيه الرماديتين قائلاً بصوته الهادئ:ـ"ماذا لو لم أرد المضي في قضية الإبطال هذه؟ أعلم أنكِ غاضبة.. فقد تصرفت بصورة سيئة و..".
قفزت واقفة في مكانها تقاطعه بصوت صارخ:ـ" أنا لست على استعداد لسماع كلمة واحدة من ترهاتك هذه.. من فضلك غادر أملاكي فوراً.. وإلا..".
عقد ساقيه فوق بعضهما وشبك أصابع يديه على ركبته قائلاً بثقة:ـ" وإلا ماذا يا زوجتي العزيزة؟ في الواقع لا تستطيعين فعل أي شيء لمنعي من مباشرة حياتي الزوجية معك".
صاحت بغضب:ـ" بل أستطيع الصراخ والإدعاء بأنك تهجمت علي".
:ـ" (جيدا).. لا تستطيعين فعل هذا، لأنكِ ببساطة لم تخبري أحداً بما حدث بيننا.. لقد تحققت بنفسي. أمس تمشيت في البلدة وكل من رآني هنأني بسلامة العودة من سفري.. في نظر الناس نحن مازلنا زوجين طبيعيين وذلك بفضلك حبيبتي".

تركهـا ذاهلـة فـي مكانـهـا وتوجـه للبـاب وقبـل أن يغـادر توقـف لحظة:ـ" ولكن هناك أمر يحيرني.. لقد رأيت منذ قليل فتاة ذات شـعر طويـل.. رأيتهـا مـن نافـذة غرفـة نـومي.. كانـت تعتنـي بالحديقة.. ولكن عندما نزلت لم أجد لها أثراً".
رددت بسخرية:ـ" نافذة غرفة نومك؟ أنت حقاً تصدق نفسك. وأي فتاة هذه؟ أنا أعيش وحدي هنا. هل أنت واثق أنك لم تأتِ بصديقتك معك؟"
لوح بيده مؤكداً:ـ" لقد جئت وحدي يا (جيدا)، والفتاة التي رأيتها فزعت مني وكأنها لم تتوقع وجودي".
:ـ"أنا لم أتوقع وجودك".
صر على أسنانه بغيظ:ـ" لابد أنكِ تعرفينها".
ردت ساخرة:ـ" ربما كانت إحدى بنات أفكارك.. فما أكثرهم داخل وخارج رأسك".
أخيراً رأت شيئاً سرها اليوم، وكان وجه (فارس) يتلون غضباً وهي تدعي اللامبالاة ثم زفر بسخونة وغادر صافقاً الباب خلفه..
كتمت ضحكتها ثم شهقت بفزع وهي تتطلع لساعة الحائط لتدرك أنها وللمرة الأولى في حياتها تتأخر عن طابور المدرسة..
وبرغم سرعتها في ارتداء ثيابها وانطلاقها بالسيارة بأقصى سرعة، إلا أنها وصلت متأخرة بعد رنين جرس الحصة الأولى.. شعرت بحرج شديد والكل يحدق فيها بفضول ونظرات غامزة من خلف ظهرها، ما عدا (مهاب) كانت نظراته نارية ووجهه مسوداً من الغضب.
:ـ"(مهاب).. ماذا بك؟ هل أنت بخير؟"
شدها من ذراعها بعيداً عن الآذان الفضولية:ـ"هل هذا صحيح يا (جيدا)؟ هل عاد زوجك ليلة أمس؟ و... وهذا سبب تأخرك هذا الصباح؟"
نزعت ذراعها من يده متفهمة أخيراً سبب ما يحدث:ـ" رغم أن

هذا ليس من شأنك أو من شأن أي مخلوق آخر، ولكن لك أنت فقط يا (مهاب)..نعم (فارس) نام ليلته في القصر بدون علمي، ولم أشعر بوجوده إلا في الصباح وتشاجرت معه لهذا السبب، وحاولت طرده.. لذلك تأخرت".
أطرق برأسه:ـ" أنا.. آسف يا (جيدا).. لقد.. ظننت.."
ردت بألم:ـ" ظننتني تصالحت معه؟ كرامتي تعني لي أكثر بكثير مما تعتقد بي يا (مهاب). (فارس) أهانني وكسر إحساساً جميلاً ثميناً بداخلي من الصعب إصلاحه.. هل تتخيل أنه ما أن يظهر أمامي حتى أقفز لأحضانه؟ ظننت فكرتك عني أفضل من هذا".
:ـ"(جيدا).. أنا.."
قاطعته بحدة:ـ" أعتقد أنك تأخرت على حصتك يا أستاذ (مهاب).. وأنا أيضاً أمامي الكثير من العمل".
تركته واقفاً لتواجه كل العيون الفضولية الأخرى التي كانت تتابع الحديث باهتمام، ولكنها تجاوزتهم بأعصاب مهتزة وخطوات ثابتة. لم تر (ليان) إلا في استراحة منتصف اليوم، وباختصار حكت لها كل ما حدث:ـ"هل تريدين أن نستعين ب(رؤوف)؟ هو رجل مثله وقد يستطيع إقناعه بمغادرة القصر".
رفضت (جيدا) الفكرة:ـ" كلا.. سيكون الموقف محرجاً لزوجك باعتباره موظفاً في شركته.. من الأفضل أن أتعامل معه بنفسي، ولكني أواجه مشكلة أخرى.. لقد رآني اليوم وأنا أعتني بالحديقة. لم أكن أعلم بوجوده وإلا احترست".
شهقت (ليان) صارخة:ـ" أتعنين أنه أخيراً رأي (جيدا) الأخرى، ذات الشعر الطويل والقوام الـ.. ماذا بكِ؟ ما هذا الانطباع الغريب على وجهك؟ ألم تروقي له؟"
:ـ"كلا.. لم يعرفني.. ظنني فتاة أخرى".
:ـ"أووووه.. وأنتِ ماذا فعلت؟"

:ـ"هربت بـالطبع.. وعنـدما سـألني عـن الفتـاة التـي رآهـا فـي الحديقة سخرت منه".
ورغـم شـعورها بالضـيق ولكنهـا التقطـت عـدوى الضـحك مـن صديقتها التي لم تكف عنه حتى أوصلتها لبيتها.
عادت لتتخذ طريقها لقصرها تفكر بكيفيـة التعامـل مـع هذا العدو الحبيب، الذي تكرهه وتحبه.. تتمنى لو اختفى من حياتها للأبد، وفي الوقت ذاته تحلم بوجوده بقربهـا كزوج وحبيب.. بلمسـاته الرقيقة، وبحنانه يغمرها كحبيبته وصديقته وأمه وأخته.
ولكن في الوقت الراهن ليس أمامها من خيارات إلا طريق واحد، وهو ليس بخيار بل هو الطريـق الوحيـد الـذي لابـد أن تسير فيـه شاءت أم أبت..
ملأت صدرها بدفعة كبيرة من الهـواء وهـي تقتحم القصر باحثـة عنه..رائحة طهو الطعام جذبتها للمطبخ الكبير. كان يحتـل زاويـة منه جوار الموقد وقد أعد وجبة ساخنة وشرع بالتهامهـا عنـدما أوقفـه زوج مـن العيـون المراقبـة مـن خلـف عدسـات نظاراتهـا الكبيرة:ـ"لا تحـدقي برجـل جـائع بهـذه الطريقـة.. اسـحبي مقعداً وشاركيني وجبتي، فقد صنعت ما يكفي لكلينا".
:ـ"أنت حقـاً أكثـر وقاحـة ممـا كنـت أتخيـل.. (فـارس) لقـد كنـت واضحة معك تماماً هذا الصباح، ومع ذلك سأكون أكثر وضوحاً معك حتـى لا تسـيء فهمـي مـرة أخـرى. (فـارس أصـلان) أنـا لا أريدك أن تكون جزءًا من حياتي، ولا أريـد أن يكـون لـي معك أي معاملات فـي المستقبل، ولا حتـى أن أراك ولـو بالصـدفة فـي أي مكان..أمامك فرصة أخرى..أقل من خمس دقائق لتغادر قصري وحياتي".
مـال علـى مقعـده للخلـف متسـائلاً بـزوج مـن الحواجـب المرفوعة:ـ"وإن لم أفعل؟"
هزت رأسها بابتسامة ساخرة:ـ" لا يـا سيد (فارس)..لست أنت

هذا الرجل الذي يفرض نفسه على امرأة ترفضه وتكره رؤية وجهه كل صباح".
سألها بشك:-" هل تكرهيني فعلاً لهذه الدرجة؟"
:ـ"كلا.. ليس بهذه الدرجة.. أكيد أكثر بكثير مما أستطيع التعبير.. وأحتقر نفسي معك لأنها منحتك يوماً شعوراً خاصاً غير مشاعر الكره التي تستحقها".
ظهر عليه التفكير العميق وهو يقف ليقترب منها.. حاولت التماسك وهو يمد أصابعه لتلمس وجهها فتفادت لمسته بنظرة مشمئزة..
أجفل مبتعداً:-" ألهذا الحد كان جرحي لكِ عميقاً يا (جيدا)؟"
ببسالة منعت دموعها من خذلانها وهي تواجهه بصلابة ولكن بصوت مختنق:-"أرجوك.. غادر".
:ـ"ألا يوجد ولو حتى بصيص أمل لي؟ (جيدا).. فكري. قد نستطيع إنجاح هذا الزواج فعلاً.. لو حاولنا".
ردت بسخرية آلمتها أكثر مما تصورت:-" بربك يا (فارس)..كُن صادقاً مع نفسك ولو مرة واحدة في حياتك. أنت هنا في هذا المكان لأسباب كثيرة تخصك وحدك، أستطيع عدها لك لو أردت، ولكن السبب الوحيد الذي يجبرني على إعادة التفكير كما تطلب مني ليس واحداً منهم".
زفر بأمل:-" أنا متأكد أنه موجود ولكنكِ لم تعرفي بعد".
عقدت ذراعيها على صدرها:ـ" حسناً.. انظر في عيني وأخبرني.. أنك تحبني".
أجفل متراجعاً وكأنه فوجئ، فضحكت هازئة رغم الوجع الذي نخر قلبها:ـ" أرأيت؟ أنت حتى لا تستطيع المضي في كذبك للنهاية".
:ـ"(جيدا).. كوني منطقية. توجد علاقات كثيرة ناجحة وقد يحدث فيها حب ولكنها لم تبدأ بالحب".

:ـ"لا أظن أنني أستطيع احتمال مشاق الحياة دون حب من الشريك الآخر لحياتي، أو حتى أمل أن يحبني في يوم من الأيام.. كما أنك لست من هذا النوع أيضاً الذي يستطيع الاستغناء عن امرأة لفترة طويلة من حياته، فما بالك بطوال العمر".
مد يديه نحوها محاولاً إقناعها:ـ" صدقيني.. أستطيع الحياة دونهن بنفس السهولة التي أحيا بها وهن فيها".
:ـ"هن مجرد تسالي في حياتك..أنت لم تلتق بعد تلك التي تجبرك على التفكير بها بجدية. ولكن أبشر.. فأمثالك من الجوارح المحلقة يكون سقوطها مدوياً".
تنهد بزفرة طويلة:ـ" ماذا أفعل حتى أجعلك تثقين بي من جديد وتسامحيني؟"
حدقت في ملامحه الواثقة من كل حرف ينطق به وكأنها في غمار رفض طفولي ما تلبث أن تعود لوعيها لتفرش له رموشها طائعة.
ضربت الأرض بقدمها لتُحمل كلامها كل معاني التأكيد التي لا يستطيع بثقته البالغة في نفسه استيعابها هاتفة:ـ" شيئان لا ثالث لهما.. أولاً أن تنس أي مشاريع تتعلق بقصري. وثانياً أن تغادر حياتي فوراً.. وإلى الأبد".
وضع كفيه في خصره بابتسامة متحدية:ـ"أوووه الأبد فترة طويلة جداً وأنا رجل صعب المراس، وليس من السهل تغيير خططه بهذه السهولة".
رفعت حاجبيها لأعلى بنظرة ساخرة أدهشته وطمأنته أن عنادها قد وصل لنهايته:ـ"هكذا إذا؟ حسناً.. أنت أردتها حرباً، فلا تلومن إلا نفسك (فارس أصلان)

*****

(١٥)

خرجت يتآكلها الغيظ.. لقد عاد ليتناول طعامه وكأن شيئاً لم يكن، وكأنــه يتحــداها أن تســتطيع تنفيــذ تهديــداتها. والكارثــة تلــك الابتسامة الواثقة التي رسمها على وجهه.

احتدم الغضب داخل صدرها وهي تتلفت حولها لا تدري ماذا تفعل، وفجأة أضاء مصباح داخل عتمة تفكيرها..

صعدت لغرفته التي ينام فيها، يكاد يعميها الغضب وهي تقتحم غرفتــه كالإعصــار، وبعصــبية شــديدة راحــت تلملــم حاجياتــه المبعثرة في كل مكان..

عبأتها فـي حقيبتـه وجرجرتها حتـى الـدرج وأخـذت تلقـي بهـا لأسفل قطعة.. قطعة.. متسلية بمنظر ملابسه الثمينـة.. وأدواتـه.. وأوراقه.. مفترشة الدرج حتى الأسفل.

خرج من المطبخ متسائلاً عن سبب ما يسمعه من ضجة، وكاد يجن وهو يراها تقذف بكل متعلقاته تباعاً..

قفز على الدرجات مثنى وثلاث وأمسك بحقيبته قبل أن تقذف بها هي الأخرى، وقد غاب التعقل عن ملامحه وهو يلوي معصمها خلف ظهرها حتـى صرخت مـن الألم:ـ" أيتهـا المجنونـة مـاذا فعلت.. هل يؤلمك هذا؟ انتظري حتى انتهى منك".

لم تستطع الفكاك من قبضته القوية، فركعت على الأرض محاولة التملص منه. وقع نظرها على زجاجة عطر بعد الحلاقة الخاصة به فتمسكت بها كخشبة الخلاص، ثم التفتت لتفاجئه بنثر رذاذها في وجهه.

أطلقها فوراً وهو يخور كثور مترنح من الألم. تراجعت مذعورة، فــاقترب محــاولاً النيــل منهــا مــرة أخــرى محــاولاً فــتح عينيــه بصعوبة:ـ"أيتها الوقحة.. سأريكِ".

ألقت زجاجة العطر من يدها لتقع أرضاً في اللحظة نفسها التي وضع قدمه عليها، لتكون سبباً لفقدانـه توازنـه وترنحـه محـاولاً

التمسك بأي شيء. متأخراً جداً وعت لما يحدث فمدت يدها، جحظت عيناها وهي تراقب بهلع سقوطه المدوي متدحرجاً على الدرج حتى تمدد أسفل بجوار حاجياته هامداً.
كل هذا حدث في أقل من لحظة مما جعلها تحملق فيه دون أن تستطيع حتى أن ترمش بعينيها.. تنظر لجسده بقلب خافق بجنون. مرت دقائق أخرى وهي غير قادرة على الإتيان بأي حركة خوفاً من أن ينهض ويعود متهجماً عليها. وعندما مرت دقائق لا يحرك ساكناً، شهقت بصوت مكتوم عندما واتتها فكرة أن يكون قد مات.. جعلتها الفكرة تقفز من مكانها وتهرع إليه..

أغمضت عينيها بألم عندما رأت كمية الدماء النازفة من جرح رأسه. بأنامل مرتعشة تحسست النبض في عنقه وتنفست الصعداء عندما تأكدت أنه لا يزال على قيد الحياة.
أسرعت للمطبخ وأحضرت زجاجة مياه عادت بها بسرعة، والتقطت أحد قمصانه المتناثرة ومزقته لتستخدمه كضمادة. نظفت الجرح وحول عينيه المحمرتين من أثر رذاذ العطر، وبصوت مرتعش أخذت تناديه:ـ" (فارس).. (فارس).. هيا.. لا تقنعني أن جرحاً صغيراً كهذا يؤثر على رجل مثلك".
وعندما لم يصدر منه ولا حتى أنين، سكبت باقي الزجاجة على وجهه وكادت تبتسم وهو يشهق بحنق:ـ" اللعنة يا امرأة.. أتحاولين إغراقي؟"
جففت وجهه بما تبقى من القميص:ـ" حمداً لله على سلامتك.. ظننتك فارقت الحياة".
رد بألم من بين أسنانه:ـ" لن تتخلصي مني بهذه السهولة".
زفرت بحنق:ـ"مازلت على عنادك.. أعتقد أنك أصبحت بخير".
:ـ" بالطبع أنا بخير".
تأمل قطعة الملابس المبللة في يدها وشهق:ـ" أهذه القطعة

من...قميصي؟"
نظرت لها ثم إليه وأومأت:-" كان الأقرب لي لإنعاشك".
زمجر بصوت غاضب:-" لقد كان أفضل قمصاني أيتها الــ.. هلا ساعدتني لأنهض؟"
مدت له يدها فتشبث بها وما كاد يحرك ساقه حتى صرخ متوجعاً، فسألته بذعر:-" لماذا تصرخ؟ ماذا بك؟"
رد بصوت متقطع من الأنين وقد حاكى وجهه الموتى شحوباً:-" لقد كُسِرت ساقي أيتها الملعونة.. هل ستظلين تحملقين بي هكذا كالتمثال؟ هيا.. ساعديني لأذهب للمشفى".
لم يكن من السهل عليها العمل كعكاز لرجل ضخم مثله، خاصة وقد اعترف لها في منتصف الطريق أن الدوار يلف رأسه والرؤيا أصبحت مزدوجة، وكان أصعب جزء عندما اضطر للحجل بساق واحدة فوق الدرجات الأخيرة..
استهلكت ما تبقى لها من طاقة وهي تحاول منعه من السقوط حتى وصلت به لسيارتها.. ساعدته ليستلقي في المقعد الخلفي شبه فاقد الوعي وقادت بأقصى سرعة لأقرب مشفى.

*****

(١٦)

ناولتها الممرضة كوباً من الشاي الساخن قائلة بتعاطف مع حالتها المزرية:ـ" اطمئني يا سيدتي.. زوجك بين أيدي أمهر الأطباء. أنظري لنفسك..أنتِ شاحبة وكأنكِ أنتِ المريضة، عزيزتي..لابد أنها كانت تجربة مؤلمة".

ردت (جيدا) بعينين زائغتين على باب غرفة (فارس)، حيث يعكف الأطباء على علاجه منذ ما يقرب ساعتين.

:ـ" متى..متى قلت إنه سيخرج؟"

ابتسمت الممرضة الأكبر سناً بخبرة سنوات في التعامل مع أهل المرضي:ـ" لا داعي لقلقك، ولا تنسي أنه كسر مضاعف..آه..ها هو الطبيب قد غادر".

أسرعت نحوه تسأله بدموع فاقدة السيطرة:ـ" كيف حاله؟ أرجوك..أخبرني..هل سيصبح بخير؟"

:ـ" إن شاء الله سيكون بخير..إنها إصابة سيئة بالطبع ولكنه رجل قوي..كوني مطمئنة، ولكن يلزمه الراحة التامة مدة شهر على الأقل، وبعدها ننزع عنه الجبيرة".

تساءلت بخوف:ـ" جبيرة؟ أتعني أنه لن يستطيع العودة لبيته؟"

:ـ" بالطبع سيعود معكِ، ولكن.. ليس اليوم".

شهقت:ـ" ولكن.. هذا مستحيل".

حدق الطبيب وممرضته ببعضهما بدهشة فتداركت (جيدا) نفسها بسرعة:ـ" أعني أنه يعمل في المدينة ولا يستطيع ترك عمله".

رد الطبيب بحدة:ـ" ما فائدة الزوجة إذاً؟ أجبريه على البقاء من أجل صالحه، والعمل ممنوع حتى إشعار آخر".

بحدية صرحت:ـ" ولكنني لست..."

ألجمت لسانها، بينما تبادل الطبيب وممرضته النظرات بانتظار تكملة جملتها، وعندما هزت رأسها بدموع متحجرة انصرفا بعد أن سمح لها الطبيب بالدخول والاطمئنان عليه.

اعتصر الألم قلبها من منظر ساقه المجبورة والمرفوعة برافعة لأعلى.. تمنت لو ركضت نحوه وألقت نفسها على صدره، وكادت أفكارها تصل لحيز التنفيذ عندما فتح عينيه المنهكتين وأشار لها:ـ" تقدمي أيتها القاتلة وتطلعي جيداً لضحيتك".

تمالكت نفسها وهي ترد بترفع:ـ" لقد جلبت هذا على نفسك. والآن..أخبرني بأرقام تليفونات أهلك ليأخذوك، فقد أوصى الطبيب لك بالراحة التامة والابتعاد عن العمل".

رد متفكهاً بإعياء:ـ" أهلي؟ لا أهل لي سواك يا.. زوجتي الحبيبة".

شهقت متراجعة:ـ" لا.. مستحيل.. ولا في أقصى خيالاتك جموحاً".

رد بحزم:ـ" لن يعتني بي سواكِ.. هذا أقل عقاب لما فعلته بي".

كتفت ذراعيها على صدرها:ـ" أنا لم أفعل أي شيء سوى الدفاع عن نفسي وقصري".

:ـ"هذه روايتك أنتِ.. أما أنا فروايتي ستختلف عندما أرويها للشرطة".

ازدردت لعابها بصعوبة:ـ" شرطة؟ أي شرطة؟"

:ـ"إنها تلك المكلفة بالقبض على المجرمات أمثالك، لمحاولتهن قتل أزواجهن للاستيلاء على ثرواتهم".

أجفلت من قسوة اتهامه:ـ" ولكنني.. أنا لم.. وأنت تعثرت .. و."

هز رأسه ضاحكاً:ـ" يا له من دفاع".

صرخت بحدة:ـ" كنت أدافع عن نفسي.. لقد هاجمتني".

:ـ" أنا الضحية هنا يا زوجتي العزيزة.. سيستمعون لي أنا، عندما أخبرهم كيف حاولت المعلمة الفاضلة قتل زوجها، ولم ينته شهر العسل بعد. سيخيب آمال الناس فيكِ حقاً بعد أن كنت ملاكهم البريء".

:ـ"لن يصدقك أحد".

:ـ"هل تراهنين؟"
احترقت غيظاً أمام ابتسامته المنتصرة وضربت قدميها بالأرض وهي تخرج، ولكنه أوقفها ضاحكاً:ـ" سأكون بانتظارك غداً لتصطحبينني معك لـ.. بيتنا.. آه.. عفواً.. أقصد قصرنا".

كان من المستحيل عليها أن تعود للبيت وهي بهذه الحالة من الغضب والعصبية. ووجدت نفسها تقود سيارتها إلى حيث تشعر أنها امرأة مرغوبة..

لم يصدق (مهاب) عينيه عندما فتح الباب ووجدها أمامه:ـ"(جيدا)؟! ماذا بكِ؟ تبدين منهكة".
:ـ" (مهاب).. أنا آسفة..ولكن لم أعرف لمن ألجأ.. (ليان) مشغولة بأولادها و..".
فتح الباب على مصراعيه ودعاها بسخرية:ـ"أيتها الحمقاء.. ادخلي.. وألقي بعبئك على كاهلي ولا تبالي".
انتظر حتى جلست متوترة بأطراف مرتعشة ليسألها:ـ "(جيدا).. ماذا فعل بكِ هذا الوغد لتكوني على هذا الحال؟"
توترت وهي تشبك أصابعها في بعضهما قائلة بتردد:ـ" في الحقيقة.. أعني.. في الواقع."
ركع أمامها يسألها بحنان:ـ" (جيدا).. هل أذاكِ؟"
تقوست شفتاها بامتعاض:ـ" لا تجمع الأدلة بطريقة خاطئة لتلقي الاتهام عليه يا هولمز، بدون بينة حقيقية.. إنها أنا التي.."
وعندما تراجع مفكراً لحل لغز كلماتها المتقاطعة أردفت بسرعة:ـ" لقد كسرت له ساقه، وأصبته بجرح في رأسه لزم لإغلاقه عشر قطب".
وبعد لحظات من الصمت تجاوز بعدها (مهاب) الصدمة وهلل

بفرح:ـ" مرحى.. مرحى.. يا لكِ من فتاة.. ذكريني ألا أحاول إغضابك أبداً في المستقبل.. يا إلهي أنتِ حقاً خطيرة".
صاحت بعصبية:ـ" (مهاب).. هل تمزح؟ (فارس) في المشفى مصاب بكسور، وأنا المتسببة فيها.. وأنت تصفق وكأنه عرض القرود في السيرك".
استمر بالتهليل ضاحكاً:ـ" أنا واثق أنه كان عرضاً يستحق المشاهدة".
:ـ"ما يستحق المشاهدة حقاً هو رؤيتي في السجن مكبلة بالأغلال".
تكون عبوس قبيح على ملامحه متسائلاً بجدية:ـ" ولكنه كان حادثاً.. أليس كذلك؟"
:ـ" بالطبع كان حادثاً.. كان يهاجمني غاضباً عندما ألقيت بملابسه على الدرج فتعثر وسقط".
صفق (مهاب):ـ" رائع.. نستطيع إثبات هذا.. وأنكِ.."
أكملت بصوت أضعف:ـ" بعد أن أحرقت عينيه برذاذ العطر".
كتم ضحكته عندما لاح التماع الغضب في عينيها:ـ" يا لكِ من فتاة شقية يا (جيدا).. لستِ سهلة أبداً".
:ـ"أتجد القصة مسلية؟ إذاً استمع للتالي.. سيقضي زوجي العزيز فترة نقاهته في بيتي، وإلا أبلغ عني الشرطة لمحاولة قتله".
وكأن دورها في الابتسام عندما كشر عن عبوسه مرة أخرى فأردفت:ـ" وليس هذا فحسب.. بل سأعتني به عناية كاملة".
انتفض بعصبية:ـ" لا يمكنك السماح بحدوث هذا.. أنتما منفصلان".
:ـ"آه.. الآن فقط عرفت سبب تواجدي هنا؟"
أطرقت كي لا يلمح دموعها المحتبسة، فسألها برعشة في صوته:ـ"هل ما زلتِ على حبه يا (جيدا)؟"

ردت باندفاع صارخ:ـ"وهل كذبت يوماً وادعيت أنني شفيت منه؟ حتى الأمراض البسيطة بحاجة لفترات علاج وفترات نقاهة، وأنا لم أحظ بأي منهن".

رد بتفهم ولكن بألم ظاهر:ـ" كما أن وجوده معكِ الآن طوال الوقت لن يساعدك".

أخيراً نزلت سيول دموعها وهي تهز رأسها موافقة:ـ" في الواقع إنه يزيد الأمر سوءاً".

صاح باندفاع غاضب:ـ" لا تخضعي لتهديده.. هذا ال(فارس) جبان، ولا يملك الشجاعة لتنفيذ نصف ما يتلفظ به لسانه الطويل".

تنهدت بزفرة قوية:" سينفذه يا (مهاب).. اهتمامه محصور بالقصر وليس بي.. سأقدم له الفرصة التي ينتظرها على طبق من ذهب.. فإذا تمكن من سجني أصبح القصر له بحكم أنه زوجي. سيفعل ما يشاء ومعه محامي داهية لتنفيذ الأمر.. يبدو أنه ليس أمامي حل آخر، سأذهب لأعد البيت لاستقباله".

:ـ"ولكن..الكوخ ضيق وليس به إلا غرفة نوم واحدة".

تنهدت بتعب:ـ" آه.. نعم.. فكرت في هذا الأمر.. والخيار الوحيد أن أتركها له وأنام على الأريكة في غرفة المعيشة."

:ـ" ولما لا تعدين له غرفة في القصر؟ على الأقل لن يضايقك وجوده الدائم".

:ـ"القصر تنقصه أشياء كثيرة ليكون صالحاً للعيش به.. لا تقلق بشأني سأتدبر حالي، وإن تسبب لي بفوضى أخرى، ما زال يملك ساقاً أخرى سليمة وذراعين سأتدبر حالي بهما".

*****

(١٧)

قضت معظم الليل تلملم أشياءه التي بعثرتها على الدرج، ووضعتها في الغرفة بعد أن أخلت له معظم الأدراج وأخذت ترتبها، ثم أغمضت عينيها بقوة صائحة بصوت مرتفع لتسمع نفسها:-"أكرهك.. أكرهك يا (فارس أصلان) لكل ما فعلته بي.. ولقسوتك.. ولإهانتي.. ولن أسامحك أبداً".

بدد رنين الهاتف المزعج هدوء الليل الساكن بعد أن أنهت محادثتها مع الجدران والأثاث لتحاول إقناعهم بما لم تقتنع به بنفسها. نهضت بتكاسل ترد على (ليان) التي أرادت الاطمئنان عليها بعد أن سمعت أخبارها من (مهاب):-" (جيدا).. كان عليك أن تتصلي بنا فوراً.. كان (رؤوف) ليساعدك في هذا الوضع".

:-"سامحيني يا (ليان) ..كان تفكيري مشوشاً وكان من المستحيل أن أنتظر، كانت حالته صعبة.. كان يتألم بشكل فظيع".

:-"مسكينة يا (جيدا).. كيف يمكنني مساعدتك الآن"؟

:-"لا شيء.. شكراً لكِ. آه.. تذكرت لو يمكنك أن تتقدمي لي بأجازة مفتوحة حتى أعرف ظروفي.. و.. شيء آخر.. أريد أن يأتي (رؤوف) معي غداً ليساعدني بنقل (فارس) للبيت".

صاحت (ليان) بانفعال:-" (جيدا).. بدون أن تطلبي يا عزيزتي.. أنا و(رؤوف) لن نتركك لحظة واحدة في هذه المحنة.. لا تقلقي.."

بالكاد انبلج نور الصباح وكانت قد أعدت نفسها، فانطلقت من فورها يدفعها شوق شديد للاطمئنان عليه ولرؤيته.. ولولا ظروفهما الشائكة ما تركته لحظة واحدة.

كانت أروقة المشفى ما تزال في حالة سكون حتى أن خطواتها بحذائها الممسوح كان صداها مسموعاً في المكان.

رفعت الممرضة النائمة على مكتب الاستقبال رأسها متسائلة بفضول عن سبب تلك الزيارة المبكرة..
تقدمت (جيدا) باندفاع:ـ" أعتذر لإزعاجك.. أريد السؤال عن حالة السيد (فارس أصلان)".
أفاقت الممرضة تماماً وهي تهتف بانزعاج:ـ" تقصدين مريض الغرفة (١٩٥)؟ هل أنتِ زوجته؟ كان الله في عونك.. هذا الرجل لا يطاق، لم يكف عن استدعاء الممرضات والسخرية منهن طوال الليل.. وطلباته الأكثر غرابة والمتتالية دفعت معظمهن للتهديد بالاستقالة، ولم ننعم بالراحة إلا بعد أن حقناه بدواء منوم..هل هو هكذا دائما؟"
أمالت (جيدا) رأسها ناحية كتفها لتزغر للممرضة بنظرات الشر الذي أوغرته شكواها في صدرها:ـ" ألم يخطر ببالك أن تصرفاته هذه قد تكون نتيجة شعوره بالألم، وهو رجل ليس من السهل عليه الاعتراف بأوجاعه؟ وبدلاً من أن تتواجد ملائكة الرحمة لتخفيف آلامه، تتنمرن عليه وتسخرن منه".
تركت الممرضة الذاهلة وأسرعت لتطمئن عليه بنفسها دون أن تشعر أنها قدمت لتوها خير مثال على الزوجة القلقة المحبة.
اعتصر الألم قلبها عندما اشرأب بعنقه ليرى مقتحم غرفته ثم هتف مستنجداً عندما رآها:ـ"آه.. (جيدا).. أهذه أنتِ؟ حمداً لله.. أسرعي وأخرجيني من هنا.. هذا المكان كالجحيم".
تقدمت نحوه بخطوات راقصة رافعة حاجبيها باستفسار:ـ" لم التذمر؟ أنت في مكانك الصحيح".
:ـ"يا لسواد قلبك.. لقد ظننت أننا تعادلنا..ألم أفِ بديني بعد؟ (جيدا)..أرجوكِ..أنا لم أتوسل لمخلوق في حياتي، ولكن ساعة أخرى في هذا المكان وسأصاب بالجنون".
جلست باسترخاء على المقعد جوار فراشه، وفوجئت به يمسك يدها ويعتصرها برجاء، لتهتف به:ـ" كُف عن التصرف

كالأطفال يا (فارس)، واهدأ حتى يأتي الطبيب ويأمر بخروجك".
:ـ"سأنتظر بشرط.. أن تبقي معي حتى تخرجيني من هنا".
:ـ" تعلم أنني لا أستطيع.. لا بد أن أحافظ على مواعيد دوام عملي".
آلمتها أصابعه وهو يزيد من ضغطه:ـ"(جيدا).. لن تتركيني هنا.. أنتِ مدينة لي بهذا".
حاولت جذب يدها لاهثة:ـ" حسناً.. لا بأس سأبقى.. ولكن اترك يدي".
نظر لأصابعها المضغوطة في يده ثم بدأ بحل قبضته ورفعها لفمه يلثمها برقة أوجعت قلبها، فسحبتها بسرعة. بالكاد شعرت بملمس شفتيه عليها ونهضت مسرعة للنافذة تداري احمرار وجنتيها..
أخرجت أنفاسها المحتبسة بزفرات سريعة حتى آلمها صدرها وفكرت أن هذه اللحظة والقبلة أكثر بكثير ما تحتمل... ساعدها دفء أشعة شمس الصباح على وجهها بأن تستعيد نفسها مرة أخرى من ذلك البئر المظلم الذي رماها فيه (فارس) بقبلته السخيفة..
التفتت إليه تحدثه بنبرة باردة متجردة من أي مشاعر:ـ"(فارس).. أريدك أن تعرف أنني آسفة حقاً.. لم يخطر ببالي للحظة أنني قد أتسبب في أذية أي مخلوق.. حتى لو كان أنت".
رد متفهماً:ـ" لقد ساءت الأمور بيننا فعلاً.. أليس كذلك؟ أنتِ لم تقصدي أذيتي.. قد تكون أي امرأة أخرى في موقفك.. ولكن ليس أنتِ".
ردت بتعالي رافضة أي ضعف يدغدغ مقاومتها الظاهرة:ـ" من أين لك أن تعرف؟ أنت لا تعرفني".
:ـ"أنتِ مخطئة.. أنا أعرفك بما فيه الكفاية لأحكم.. بفضل خبرتي

طبعاً".
:- "آه..طبعاً..حسناً يا (فارس)..سأعتني بك لمدة شهر واحد فقط، وفي المقابل أريد منك وعداً أنك لن تضايقني أبداً بعد اليوم، وأنك ستبدأ بإجراءات فسخ الزواج فور أن تصبح قادراً على المشي".
تنهد متسائلاً:-" هل أنتِ واثقة أن هذا ما تريدينه فعلاً؟"
أخذت نفساً عميقاً ورددت وهي تزفره ببطء:-" أنا واثقة أنك تسعى إليه أكثر مني.. ونعم.. أنا أريد وبشدة ألا تربطني بك أي علاقة".
:-" حسناً يا (جيدا).. أعدك أن أنفذ كل طلباتك.. لن أتسبب بأي أذية لكِ وسأنفذ كل ما يرضيك".
غمغمت باختناق:-" شكراً لك.. سأذهب للبحث عن الطبيب لنخرجك من هنا".

برت (ليان) بوعدها وكانت نعم المعين هي وزوجها في مساعدتها حتى أوصلا (فارس) لفراشها في الكوخ..تركا (رؤوف) معه يتجاذبان أطراف الحديث وانشغلت الفتاتان في المطبخ لإعداد وجبة سريعة..
غمغمت (ليان) بعد سماعها اتفاق (جيدا) مع (فارس):-" لا يبدو لي الأمر صائباً يا (جيدا).. زوج ولا زوج، وزواج مرهون بوقوفه على قدميه.. لو كنتِ تحبينه فعلاً لماذا كل هذه التعقيدات؟ لو خلعتِ عنكِ هذه الأشياء، أقسم لكِ أنه لن يتركك أبداً".
زفرت بضيق:-" (ليان) .. كُفِي عن الحديث في هذا الموضوع.. كم من مرة قلت لكِ إن لم يحبني كما أنا فيكون قد وقع في حب الشكل والمظهر، وهذا الحب عمره قصير جداً.. ولن أتنازل عن الحب الأبدي، حتى لو كان مجرد خيالات في أحلامي".

"ولكن هذا الوضع الشاذ.. ألن يكون ضغطاً على أعصابك؟"
:ـ"إنه مجرد شهر يا (ليان) .. وسيمر قبل أن ألاحظ".

وعلى الفور شعرت أن الكلام أسهل بكثير من الفعل.. فما أن غادر الضيفان حتى بدأ شعور بالرعب يتسلل إليها.. فهي معه وحدهما يظلهما سقف واحد..
دخلت لتطمئن عليه بعد أن تأكدت من مظهرها في المرآة ولم تنس طرق الباب قبل الدخول وجاءها صوته نافذ الصبر:ـ"ادخلي يا (جيدا).. أنا لم أخلع ثيابي بعد".
دخلت مندهشة كيف أن غرفتها تبدو ضيقة وغريبة لمجرد وجوده فيها:ـ" هل.. هل أنت مرتاح؟ هل تريد شيئاً"؟
هز رأسه باستياء:ـ"من فضلك..لا تعامليني كالضيف المزعج الذي تتمنين في كل لحظة لو يختفي عن الوجود".
ردت ببساطة:ـ" إنها الحقيقة مجردة".
:ـ" لك لسان لاذع يا معلمة الأدب والفن.. كم عمرك؟"
حدجته بنظرة حادة:ـ" كم امرأة عرفتها قبلي أو بعدي سألتها عن عمرها؟"
فكر للحظة ثم رد مبتسماً:ـ"ولا واحدة".
:ـ"ولماذا سألتني أنا؟"
:ـ"لأنكِ مختلفة".
:ـ"تعني قبيحة، لا أرقى لمستوى معارفك من النساء".
مط شفتيه برد دبلوماسي:ـ" أنت جميلة على طريقتك الخاصة".
:ـ"بهذا الأسلوب تتملق النساء وتوقعهن في حبائلك؟"
:ـ"بدون أن تتهمينني بالغرور.. أنا لم أضطر يوماً لتملق أي امرأة لأكون على علاقة معها".
ردت ضاحكة مخفية غيظها بين ابتساماتها:ـ" أنت الغرور

بعينه".
وضع يديه تحت رأسه مستمتعاً بالنقاش:-" تهرب استراتيجي كي لا تجيبي عن سؤالي".
:-" وأنت وقح لإعادة السؤال".
تنهد مفكراً:-"آه.. أعطيك مابين الخامسة والعشرين للثامنة والعشرين.. من الصعب التخمين بوجود كل هذه الملابس والقبعة.. أنا متأكد أنكِ لو ارتديتِ ملابس أقل وأكثر أناقة وتركتِ شعرك للشمس والهواء ستبدين أصغر بكثير.. و.. مختلفة".
:-"لمن؟"
:-"عفواً".
:-"سألتك.. لمن أكون مختلفة؟ لنفسي؟ أم للناس؟"
:-" للناس ولنفسك".
:-"ولكنني مختلفة فعلاً..أم أنك لم تلحظ أن لي أسلوبي الخاص في ارتداء ثيابي؟ وإن لم يحز على إعجاب البعض، يكفي أنه يرضيني أنا نفسي".
:-"حتى لو كان غير مناسب لامرأة في سنك؟"
:-"ومن يملك الحق بالحكم علي؟ أم ينتابك الفضول لمعرفة ما خلف القبعة السخيفة والملابس الفضفاضة؟"
رد بوقاحة:-" ربما.. قد أكون.."
:-" أمممم.. في هذه الحالة يقال إن الفرصة تأتي للإنسان مرة واحدة فقط في العمر. وأنت أضعت فرصتك في ليلة زفافنا بحماقة وقسوة..ولذلك، لن تعرف أبداً ما فاتك".
غمغم باقتضاب:-" وعلى ما يبدو أنني لن أدركه مهما حاولت".
ردت بشرود:-" نعم..مهما حاولت..هل أنت جائع؟"
:-"لا شكراً لك.. أفضل الراحة والنوم في الوقت الحالي.. هل توجد غرفة نوم أخرى؟"
:-" لا.. هذه الغرفة الوحيدة بالكوخ".

:-"ولا أعتقد أنك ستشاركيني فيها".
:-"ولا حتى في أحلامك يا (فارس أصلان).. لا تشغل نفسك بي.. لقد أعددت لنفسي الأريكة بغرفة المعيشة".
رد محرجاً:ـ"ولكني لن أستطيع طردك من غرفتك..سأنام أنا على الأريكة".
ردت ساخطة مشيرة لساقه المجبورة:ـ"بحالتك هذه؟ لا أعتقد..كما أنه عقابي..هل تذكر؟ آه..قبل أن أنس موعد دوائك".
ناولته حبات دواءه متجاهلة عينيه اللتان تحاولان باستماتة فك حصونها، ثم ناولته الماء:-"هل تريد المزيد من الوسائد؟"
:-"لا.. شكراً".
ظلت متماسكة حتى أغلقت الباب خلفها...
خرجت تتمشى في الحديقة عندما لم تحتمل البقاء معه يجمعهما سقف واحد قبل أن تتحول لمعتوهة تماماً، وربما لاحظ نظراتها العاشقة له. استمرت تتمشى مستمتعة بالنسيم المنعش المحمل برائحة أزهارها محاولة إجلاء كل فكرة تتعلق بهذا الرجل عن رأسها.
في اليوم التالي أدركت شيئاً هاماً غاب عن بالها.. أنها ستظل مقيدة بتلك الملابس والقبعة حتى داخل كوخها..حتى أفكارها الجامحة لابد أن تكون مقيدة تماماً حتى لا يظهر عليها أي من مشاعرها المخجلة تجاه زوجها كغرامها به، وأحلامها في كل لحظة تعيد تصوير ليلة زفافهما بطريقة مختلفة تماماً عما حدث في الواقع.. كم استمتعت بخيالاتها التي لم تصل لأرض الواقع أبداً.
حملت صينية طعام الإفطار وطرقت الباب متعمدة حتى سمعته يتنهد بصوت مرتفع:-"تفضلي يا (جيدا)".
دخلت بتردد ثم وقفت مسمرة عندما لاحظت عدم ارتدائه أي شيء حتى الخصر..احمر وجهها بشدة وهي تدير ظهرها

صائحة بشرر متطاير:ـ" لقد طرقت الباب حتى تستعد لدخولي ولكـ."
قاطعها باستغراب:ـ"ولكني مستعد".
ثم أردف بغير تصديق:ـ" ألم تري رجلاً شبه عارٍ من قبل؟ ولا حتى على الشاطئ؟"
استدارت تحدق بعينيه بحدة:ـ" سيد (فارس).. لقد تنازلت عن حريتي داخل بيتي الخاص من أجلك، وأنت تتصرف بحرية كاملة وكأنك.. وكأنك..."
رد بابتسامة ساخرة ونظرات متلاعبة:ـ" رجل البيت..هل هذه جملتك الضائعة؟"
:ـ"لا.. لست رجل البيت.. أنت مجرد ضيف غير مرغوب فيه.. وأتوقع أن تكون تصرفاتك في حدود الضيف، وليس رجل البيت".
:ـ"حسناً.. هذا مقبول.. ماذا عن كوني زوج صاحبة البيت حتى هذه اللحظة؟".
وقبل أن تنفجر مرة أخرى أردف بنبرة متلطفة:ـ" أعتذر.. لم أقصد إغضابك ولكن هذا الجص اللعين يشعرني بالرغبة في الانفجار..في الليل تمنيت لو استطعت التخلص من كل ملابسي ولكني لم أقدر إلا على التخلص من قميصي فقط، فهو كل ما استطعت الوصول إليه.. الوضع كان من الممكن أن يكون أسوأ..هلا ساعدتني على ارتداء قميصي مرة أخرى، إن كانت رؤيتي بهذا الشكل تؤذيك".
تحركت بتردد نحو الفراش وانحنت لتلتقط قميصه من الأرض ثم ألقته في سلة الغسيل:ـ" هذا القميص متسخ.. سآتي لك بغيره."
:ـ"ولكن ملابسي..".
ابتلع كلماته بدهشة عندما رآها تخرج أحد قمصانه الجديدة من أحد الجوارير. رغم تأثره بتصرفها، لم يعلق بشيء واستسلم

كطفل وهي تساعده في ارتدائه متفادية جرح رأسه:ـ"شكراً لك".
:ـ" تفضل الطعام".
:ـ" ألن تأكلي معي؟"
ردت بجفاء وهي تحمل سلة الغسيل لتخرج:ـ"كلا.. طعامي في.."
قاطعها حانقاً:ـ"(جيدا).. بالله عليكِ هذا تصرف متطرف، بإمكاننا أن نتشارك وجبات الطعام على الأقل بدون أن نشرع أسلحتنا في وجوه بعضنا".
فكرت ثم هزت رأسها:ـ"حسناً.. سأعد الشاي وأجلبه معي".
ولم تر حيرته البالغة وهو يودعها بنظراته حتى غابت عن عينيه خلف الباب...

*****

(١٨)

مرت أيام تكاد تشعر في معظمها وكأنها على شفا بركان ثائر، أو كأنها داخل آتون متقد من الغضب والألم حتى الرغبة في الصراخ.. وزادت الأحوال سوءًا عندما بدأ في استخدام عكازيه والتحرك بحرية أكثر في أنحاء الكوخ. كان يوماً كارثياً بالنسبة لحريتها المقيدة من الأصل، لكنها لا تستطيع إنكار مرور لحظات استمتعت فيها بالشعور الخاص بقربه منها، خاصة مناقشاتهما التي أظهرت ويا للعجب تقارب آرائهما السياسية وذوقهما المشترك في مواضيع عديدة، لكنها لم تُرد أن تبنِ آمالاً مرة أخرى..فهي لن تحتمل صدمة جديدة منه.

عادت لتتأمل زهورها من النافذة بألم، فهي عاجزة عن العناية بها كما يجب.. فلا تستطيع إلا ريها فقط وبحذر شديد.. راقبت بأسى الحشائش الضارة وقد بدأت تغزو حديقتها وتخنق زهورها، كما يخنق هو حريتها تماماً.

أجفلت واتسعت حدقتاها بذعر عند سماعها لضجة جوارها، ثم استوعبت ما يحدث بسرعة. فأسرعت نحوه لتسانده قبل أن يتطوح بجسده الضخم ويسقط محدثاً دماراً غير قابل للإصلاح بجسده الضخم:ـ "يا إلهي.. ما الذي تفعله بنفسك؟ وكيف تركت الفراش؟"

هتف بنزق:ـ" أريد الخروج إلى الحديقة.. أكاد أفقد عقلي بين جدران هذا السجن الضيق".

أمسكت بذراعه تحاول توجيه خطواته العرجاء:ـ"كان عليك أن تخبرني أولاً..لأعد لك مكاناً".

:ـ"رأيت مقعد الخيزران في حديقتك بالخارج.. أرجو ألا تمانعي لو اقترضته منكِ.. لبعض الوقت".

ساعدته للوصول لطلبه مغتاظة، حيث اختار أكثر مكان تقضي فيه معظم أوقاتها بعيداً عن ضغوط تواجده المستمر على

أعصابها.. تلفتت حولها بعد جلوسه تبحث بعينيها عن شيء، ثم جلبت له مقعداً صغيراً منخفضاً، وبرفق رفعت ساقه المجبورة ووضعتها فوقه:-" هل أنت مرتاح؟"
رد بتأثر.. إذ فاجأه تصرفها:-" لم يكن عليك فعل هذا".
ردت بتنهيدة ابتلعت معظمها:-" كلما أسرعت بالشفاء، أسرعت بالرحيل... سأعد لك كوباً من العصير الطازج".
دخلت بسرعة إلى كوخها هاربة من تأثيره المدمر على سلامة عقلها. راحت تعض على نواجذها وهي تتساءل بينما تعد العصير بعصبية:-"لماذا هو لطيف بهذا الشكل؟ لم لا يعود لتلك الشخصية الكريهة المتعالية؟ لماذا؟ لماذا؟ نعم..في النهاية سيرحل..لابد أن يرحل.. لقد وعدني وسينفذ وعده. لن أضمن نفسي متماسكة لوقت أطول..أووووه..لماذا كان قدري أن أحبك؟"

فاجأتها (ليان) في أحدي الأمسيات بزيارة بدون موعد مصطحبة معها زوجها وأولادها..و..(مهاب).
كانت (جيدا) خائفة من ردة فعل (فارس) خاصة مع ضجيج الأولاد وشقاوتهم، ولكنه فاجأها بتحسن مزاجه وبترحيبه باللعب معهم، بينما رفض (رؤوف) مشاركتهم لهوهم محتجاً:-"لا يا صديقي..هذا دورك أنت، ووقت راحتي.. فليشارككم (مهاب) بدلاً مني..فهو مثلك لم يتزوج بعد".
فجأة عم الصمت المكان وحتى الأولاد توقفوا عن اللعب وكأنما أصابتهم عدوى الهدوء، وتوترت الأجواء والجميع يحدقون ببعضهم بريبة عندما قرر (فارس) وضع حد لهذا التوتر:-"ولكنني فعلاً متزوج يا (رؤوف)".
حاول (رؤوف) تدارك غلطته بمزاح:-" أعني أنك لم تنجب بعد.. صدقني إنها مسؤولية ضخمة، رغم أنها تبدو جميلة وبراقة من

الخارج".
تطلع (فارس) لزوجته من فوق الرؤوس قائلاً:-" أنا و(جيدا) لن ننتظر طويلاً حتى نتحمل هذه المسؤولية.. فأنا وهي نعشق الأطفال".
ثم أدار وجهه فجأة ليراقب ردة فعل (مهاب) وتلون وجهه:-"(مهاب).. لم لا تأكل هذا الكيك من صنع (جيدا)؟ إنها طاهية ماهرة..و.. زوجة حنون".
وضع (مهاب) الطبق بعصبية من يده ليصدر صوتاً مزعجاً ثم نهض متجهاً ل(جيدا) قائلاً بعصبية:-" (جيدا).. هل لي بكلمة معك لو سمحتِ.. على انفراد؟"
أخذت نفساً عميقاً ونهضت متعمدة ألا تنظر تجاه (فارس)، فشرارات عينيه الغاضبتين تصلها حيث هي دون المغامرة بمواجهته، ولاحظت بامتنان أن (رؤوف) يحاول جذب انتباهه عنهما.
تمتمت من بين أسنانها عندما اقتربت منه:-" تعال معي إلى المطبخ.. سأعد الشاي".
ما أن اختلى بها في المطبخ حتى أنفجر هاتفاً بصوت مكتوم:-"إلى متى تظنين هذه المهزلة يمكن أن تستمر؟"
:-"(مهاب).. أرجوك.. أخفض صوتك".
:-"اللعنة يا (جيدا)..هذا الـ..رجل يتصرف كأنه رجل البيت".
صاحت مدافعة بحدة:-" وأنت لا تساعدني بتصرفاتك الصبيانية هذه.. ماذا بك؟ لست كعهدي بك متمالكاً لأعصابك".
رفع حاجبيه بملامح ساخطة:-" هذا عندما كان اعتقادي أنك في النهاية ستكونين لي.. حتى فوجئت بفارسك المحلق يخطفك من بين يدي".
ردت بتأثر:-" أوه.. (مهاب).. آسفة لم أقصد إيلامك".
أردف بابتسامة ملتوية:-" والآن.. عندما عاد الأمل لينعش

قلبي، أجد هذا الـ.. زوج المزعوم يتصرف وكأنه يملكك".
دخلت (ليان) تصيح باستياء:ـ" ماذا بكما أنتما الاثنان؟ هل جننتما؟ أصوات صراخكما تصل لآخر البلدة.. (مهاب)..من فضلك أخرج".
عندما اعترض بتذمر، رددت وكأنها تحدث أحد تلاميذها في المدرسة:ـ" قلت.. أخرج.. بدون نقاش".
دمدم عابساً باعتراض:ـ" اللعنة (ليان) .. ألم تري كيف يعاملها؟"
زمجرت بغضب:ـ" تباً لك..قلت لك غادر المطبخ حالاً..(فارس) بالخارج يكاد يرتكب جريمة قتل. إن كنت قد نسيت، فهي لا تزال زوجته شرعاً، ولا حق لك فيما تفعل.. لن تزيد الأمور إلا صعوبة بالنسبة لها".
غمغم متمتماً بكلمات غير مفهومة ثم خرج منكس الرأس فالتفتت لصديقتها معاتبة:ـ" أنت الملومة.. أعطيت له الفرصة ليشعر أن له حق ما، فتصرف كأنه الحبيب المغدور".
همست (جيدا) بألم:ـ" هو الوحيد الذي شعرت معه أنني أنثى مرغوبة، في الوقت الذي فقدت فيه كل ثقة فيما إذا كنت لا أزال أملك أي مشاعر أو أحاسيس.. كنت كالغارقة في دوامة، وكانت يده هي اليد الوحيدة التي امتدت لي".
انخفضت حدة صوتها متسائلة:ـ" هل تفكرين فيه بجدية يا (جيدا) كرجل مناسب لكِ؟"
مسحت دموعها ومن خلال شهقاتها الناحبة:ـ" نعم.. ولما لا؟ ما إن أنهي هذا القيد المقيت مع (فارس) حتى أرتبط أنا و(مهاب)، هو رجل بعشرة مثل (فارس)".
هزت (ليان) رأسها بغير اقتناع:ـ" طالما أنكِ تصدقين نفسك..لا اعتراض عندي".
تلوت (جيدا) وكأنها تعاني:ـ" ولما لا يا (ليان) ؟ لم لا؟"

رددت (ليان) بنبرة تعاطف:-"لأنك لا تحبينه يا صديقتي".
صاحت بنبرة مرتفعة وكأنها تحاول إقناع نفسها:-" ولكنه يحبني.. يحبني أنا يا (ليان) .. بقصري أم بدونه.. بملابسي السخيفة ونظاراتي.. كما أنا يا (ليان) .. كما أنا".
:-"لماذا الآن يا (جيدا)؟ ولماذا لم تجيبي طلبه من قبل؟ تقدم لخطبتك بدل المرة اثنان وثلاث. سأجيبك أنا.. لأنه يا صديقة عمري ليس أكثر من حبة مسكنة لألم جرح عميق سببه لك (فارس)، وعندما يزول أثر المسكن، ستجدين أن الألم ما يزال كما هو، لن يبرأ إلا عندما تأخذين مضاداً حيوياً ممن تسبب لك بهذا الجرح..من الداء يكون دائماً الدواء يا صديقتي..مثلما يقولون..وداوني بالتي كانت هي الداء".
حملت (ليان) فناجين الشاي ووزعتها، بينما جلست (جيدا) متعمدة تجاهل عواصف (فارس) التي قلبت رمادية عينيه لسحب سوداء ملبدة ومهددة..
عاد الهدوء مرة أخرى بعد انصراف الضيوف..لاحظت أن (رؤوف) تعمد اصطحاب (مهاب) في المقدمة حتى لا يحاول الانفراد بها مرة أخرى..
كانت تجمع الصحون والأكواب الفارغة عندما أوقفها صوته الساخر فيما راقب اللون يظهر ويختفي من وجهها الشاحب الذي بدا التعب عليه واضحاً:-" (جيدا).. هل يعرف أصدقاؤك بالاتفاق بيننا؟"
ردت دون أن تنظر إليه:-"نعم.. هل لديك اعتراض؟"
اشتد شعورها بالخطر..عرفته من نبرة صوته المتزايدة في حدتها:-" أفهم أن (ليان) صديقتك المقربة وتتبادلان الأسرار، وزوجها يعرف منها بطبيعة الحال.. ماذا عن (مهاب)؟"
رفعت حاجبيها وهي تمط شفتها بامتعاض بلامبالاة ظاهرة:-"(مهاب)؟ ماذا عنه؟..لم أفهم تلميحك".

صرخ بحدة أرعدتها:ـ" كُفِي عن جمع هذه الأكواب اللعينة.. وأجيبيني".
انتصبت واقفة قاذفة بالأكواب أرضاً ليتساقطوا حولها شظايا دون أن تهتم:ـ" يبدو يا سيد (فارس) أنك أسأت فهم كرم ضيافتي".
قفز من مكانه يحجل على ساق واحدة حتى انتصب واقفاً أمامها وممسكاً بكتفيها يهزها بقوة:ـ" بل على ما يبدو أنكِ أنتِ التي نسيتِ أنكِ ما زلتِ زوجة لرجل تحملين اسمه، ومجبرة شئت أم أبيت بالحفاظ على شرفه".
انتفضت من بين يديه صارخة بكل المشاعر الثائرة التي تغلي بأعماقها منذ دخوله حياتها، وتدفقت من بين شفتيها كلمات كالقذائف تحت ضغط المشاعر الثائرة وقد آن لها أوان الانفجار:ـ" تباً لك.. وأنى لي الوقت لأنسى وأنت هنا لتذكرني في كل لحظة، وكل ساعة، ليلاً ونهاراً بكل سذاجتي وغبائي، بخطأ عمري كله، بجرحي الدامي الذي لم يتسن لي الوقت الكافي لأبرأ منه.. ولكن أتعرف يا (فارس) بك؟ لقد كبرت ونضجت، ولست مجبرة لأحكي لك عن أي شيء. فأنت لا تعني لي أي شيء، ولا حتى زوج.. أنت مجرد ضيف مؤقت حتى تستعيد عافيتك وتخرج من هنا.. إلى الجحيم لو شئت. لن أبالي".
سألها مصدوماً من انفجارها:ـ" لهذا الحد يا (جيدا)؟!"
ردت بابتسامة ساخرة:ـ" كلا يا سيد (فارس).. أنت لم ولن تتصور أبداً لأي حد وصلت في... كرهي لك".
ركضت مسرعة من أمامه للخارج تحاول استعادة نفسها وهدوءها الذي فقدته في ذروة الغضب..
وقفت بين زهورها التي أنعشها ضوء القمر الشاحب فتراقصت تحت ضوءه على نسمات الغروب الشاردة.. ويا للعجب لم يدخل هذا الشعور البهجة في نفسها كما اعتادت منذ تفتحت عيناها

على ألوان أزهار حديقة قصرها ووروده. غضبت لهذه المشاعر التي أثارها في نفسها واحتقرتها.. مشاعر لم تحمل إلا الضعف والوهن و..الحب. صرخت بصوت مكتوم ضج به كيانها:ـ"آه.. يا (فارس).. لماذا لم تحبني كما أحببتك؟ لمااااااااااااذا؟"
في الصباح تركت له رسالة تخبره عن خروجها لمداومة عملها، ولكنها لم تستطيع مواجهة أي إنسان بعد انفجارها المدوي ليلة أمس. كرهت نفسها وكرهته، وتمنت لو كانت مثل أي امرأة أخرى.
لماذا كان عليها أن تتفلسف في حياتها؟ لو كانت تزوجت أي رجل مناسب، مثلها مثل كل صديقاتها، لكانت مثلهن الآن تعيش حياتها آمنة مع زوجها وأولادها. ضربت المقود بكلتا يديها صارخة:ـ"لا.. لست أنتِ يا (جيدا).. أنتِ مختلفة.. أنظري إلى أين ذهب بك اختلافك؟ تكادين تتوسلين حب رجل لا يفكر بكِ إلا كأقل من أي امرأة يعرفها".
وجدت نفسها توقف سيارتها أمام بوابة القصر، فتنهدت وأطفأت المحرك ووضعت رأسها على المقود:ـ" أوووه.. ألا خلاص من هذا الرجل؟"
فجأة.. طرأت فكرة برأسها فأسرعت بتنفيذها. تركت سيارتها مكانها وتسللت من بين حديد البوابة الذي اتسع بسهولة لنحافتها.
اختلست النظر من خلف أجمة من الأعشاب.. اطمأنت لعدم وجوده خارج الكوخ، وتسللت مرة أخرى ولكن لداخل القصر. صعدت للغرفة الرئيسية وأغلقت الباب خلفها..
صرخت بفرح وهي تخلع ثيابها وتحرر شعرها معاتبة نفسها:ـ"كيف لم أفكر بهذا الحل من قبل؟"
دخلت الحمام وملأت المغطس بالماء الدافئ ووضعت الأملاح المعطرة التي كلفت (ليان) ثروة اشتمت عبيرها

باعتراف:ـ"تستحق كل قرش دُفع فيها".

غطست في عمق المياه المنعشة وظلت بها لساعة أو أكثر تحاول نسيان كل شيء بين رغاوي الصابون المنعشة، حتى خافت على أطرافها من الذوبان ومن برودة المياه فاضطرت للخروج على مضض ولفت جسدها بمنشفة كبيرة كانت ضمن جهازها. طوحت شعرها في الهواء ليتخلص من المياه الزائدة ثم تركته ليجف. جذبتها أشعة الشمس الغازية لنافذتها فجلست على حافتها العريضة بعد أن تأكدت أن من المستحيل أن يراها (فارس) من هذه الزاوية لو كان يجلس في مكانه المعتاد على مقعد الخيزران.
وبهدوء واستمتاع راحت تتخلص مما تبقى من توترها مسلمة وجهها لضوء الشمس بعينين مغمضتين وهي تخلل أصابعها في خصلات شعرها الذهبية الحمراء الطويلة فبدت في عيني مراقبها وكأنها حورية من لهب.
ظل يراقبها طويلاً بصمت كي لا يخيفها كالمرة الماضية وهي غافلة تماماً.. ما أجملها وهي جالسة على سجيتها تعرض مفاتنها للشمس تستمتع بغزوها لجسدها البض. شعر بالغيرة تحرق أحشاءه، فقد تمنى لو كان هو الشمس في تلك اللحظة.
تعثر فجأة وسقط أرضاً محدثاً ضجة أثارت انتباه السارحة. وهذه المرة شعرت فعلاً أن نوبة قلبية أصابتها وقبل أن تفر هاربة أوقفها صوته متوسلاً:ـ" أرجوكِ..انتظري. لم أقصد إخافتك، ولكني لم أستطع موازنة نفسي بعد أن سلب جمالك لبي.. من أنتِ؟ انتظري".
ولكنها لم تنتظر.. فقد سمعت ما فيه الكفاية لتدرك أن (فارس) كغيره من الرجال يبهره بريق المظهر أكثر من جوهر الإنسان نفسه، ولم يصدمها الاكتشاف.

استرقت النظر إليه من خلف النافذة فرأته يحاول بمشقة النهوض مستنداً على عكازه فأسرعت ترتدي ثيابها وعندما انتهت عادت للنافذة مرة أخرى ولكنها لم تجده..لا شك أنه في طريقه إليها..
خرجت من الغرفة وسارت لآخر الرواق لتستخدم الدرج الخاص بخدم القصر، فأوصلها للمطبخ ومنه للباب الخلفي حتى وجدت نفسها تعبر البوابة بنفس طريقة الدخول..
جلست في سيارتها لاهثة، لا تصدق أنه ضبطها للمرة الثانية بنفس الطريقة..انطلقت على غير هوادة ولم تتوقف إلا في السوق..ابتاعت بعض الفاكهة لتضيع المزيد من الوقت حتى الموعد المعتاد لانتهاء الدوام في المدرسة...
دخلت لتجده جالساً في مقعده الخيزراني خارج الكوخ -وكما توقعت- في مزاج منحرف..
حملت أكياس الفاكهة واتجهت نحوه متسائلة بجفاء: -"هل قضيت يوماً مريحاً؟".
لم يرد عليها.. كان ينفخ الهواء وكأنه تنيناً ينفث ناراً من أنفه... أدخلت حمولتها للمطبخ وعادت إليه.. كتمت فرحتها من رؤيته غاضباً بهذا الشكل:-"(فارس).. هل أنت بخير؟"
صاح بحدة:-"(جيدا).. أخبريني.. من يعيش معنا هنا؟"
:-"ماذا تقصد؟ أنا لا..".
صرخ غاضباً:-" لا تكذبي، ولا تسخري مني وتقولي إنني أتخيل بنات أفكاري.. أنا متأكد وأراهن بعمري أن ثمة فتاة تعيش هنا..لقد رأيتها، ولم أكن نائماً ولا في غيبوبة.. وما زلت بكامل قواي العقلية".
ردت ساخرة:-" لِمَ لم تسألها إذاً؟"
ضرب قبضته براحة يده بغيظ واضح:-" كدت أن أفعل..لكنها في كل مرة تهرب مني. ولكنني متأكد مما رأيت. كانت تمشط شعرها

في النافذة هناك".
نهضت واقفة فسألها:-"إلى أين؟"
:-" لأبحث عن تلك الفتاة.. ربما تكون مشردة ظنت القصر مهجوراً، فاحتلته".
:-" انتظري.. سآتي معك.. قد تكون خطيرة".
غطت فمها كي لا يرى ابتسامتها وهي تهز رأسها:-"لا بأس.. تعال.. لتدافع عني".
لاحظت تألمه بشكل واضح وهو يجد صعوبة في الارتكاز على عكازه. حجل جوارها متمتماً فسألته:-" (فارس).. ماذا بك؟"
:-"أنا بخير".
كاد عناده أن يتسبب بسقوطه مرة أخرى، فأسرعت تسانده متسائلة:-" هل حاولت اللحاق بتلك الفتاة؟ (فارس)".
غمغم مصراً على أسنانه:-" نعم حاولت صعود الدرج اللعين للحاق بها، فسقطت كجوال البطاطا.. هل ارتحتِ الآن؟"
عاتبته بحدة:-" كان يمكن أن تؤذي نفسك".
ولتؤكد على كلامها لمست كتفه فأجفل..
شهقت بتأثر:-" لقد آذيت نفسك فعلاً".
لم يستطع الاستمرار في عناده أكثر عندما أصرت عليه الدخول لفراشه، وعاملته كطفل مُعاقب وهي تحتد عليه:-"ارفع ذراعيك لأتمكن من خلع ثيابك وأرى مدى إصابتك".
رد بابتسامة من خلال موجات الألم:-" ألن تخجلي مني كأول يوم؟"
ردت دون أن تنظر لعينيه:-" لقد رأيت رجل شبه عارٍ من قبل.. ولكن ليس على الشاطئ، بل هنا في غرفتي.. وعلى فراشي".
حاول رفع ذراعه ثم هز رأسه شاحباً من الوجع:-" آسف.. لا أستطيع".
أحضرت مقصاً وقبل أن يدرك نيتها كانت قد شقت قميصه

نصفين وهي تلوم نفسها، لأنها المتسبب بكل هذه الجروح له مرة أخرى، وإن كان لا يعلم بعد.
غمغم من بين أسنانه:ـ" يبدو أنها أصبحت عادة لديك شق ملابسي".
شهقت عندما رأت تلك الكدمة الهائلة الزرقاء الهائلة على كتفه والتسلخات على ذراعيه:ــ" أوه.. (فارس).. إصاباتك تبدو مفزعة".
رد بابتسامة ساخرة:ـ" هل يعني هذا مد فترة رعايتك لي؟"
أردف عندما رأى ردة فعلها المرعوبة:ـ" اطمئني.. ضعي عليها بعض الكريمات المضادة للتسلخات والمسكنة وسأكون بخير".
سألته بجفاف عندما خشيت أن يلاحظ تأثرها:ـ" هل تستطيع الالتفاف والاستلقاء على بطنك؟"
طاوعها بدون احتجاج واستمتع بملمس أناملها الرقيقة تدهن جروحه وكأنها بلسم.. وبعد أن ناولته المسكن ليبتلعه نام فوراً، ولكن ليس قبل أن يأخذ منها وعداً أن تبحث عن الفتاة. لم ترغب بإبعاد يديها عنه خاصة وقد بدا مسالماً وعضلاته المنقبضة تسترخي تحت ضغط أناملها. راقبته حتى انتظمت أنفاسه فنادته لتتأكد من استغراقه في النوم وعندما لم يرد عليها تنفست بعمق:ــ" الآن فقط أستطيع تغيير ثيابي.. يكفيني إحساسي بالقهر لاضطراري ارتداء نفس الملابس بعد حمامي المنعش.. أتمنى لك أحلاماً سعيدة مع بنات أحلامك يا (فارس) بك".
كتمت ضحكة ناعمة عندما تململ ثم عاد ليسبح بين غيوم أحلامه..لابد أن حبتي المسكن أتيتا مفعولهما سريعاً.
فتحت دولابها وراحت تستعرض ملابسها التي منعها وجوده من ارتدائها.. اختلست نظرة تجاهه ثم رفعت حاجبيها بنظرة ماكرة..أخرجت أحد أثوابها الذي اشترتها لها (ليان) في جهازها، كان حريرياً ليلكي اللون بأجنحة ملائكية. مشطت

شعرها المعقوف ليتساقط حول وجهها كشلال ناري..
التفتت شاهقة عندما فاجأها صوته المترنح:ـ" أنت!! أنت.. هنا!؟"
هزت رأسها بقوة متراجعة وقد شحب وجهها ثم تذكرت أنه مهما حاول لن يكون أسرع منها، فتراجعت ببطء عندما أوقفها متوسلاً:ـ" انتظري.. أرجوكِ لا تذهبي.. فقط أخبريني.. من أنتِ؟ هل أنتِ حقيقية؟"
تسمرت في مكانها حتى واتتها فكرة.. اقتربت منه فتأكدت أنه يقاوم تأثير الحبوب المسكنة بعناد..
مدت يدها لتلمس وجهه فأغمض عينيه بقوة يستمتع بعبير عطرها وهي تهمس بصوت أخف من حفيف جناح الفراشة:ـ"لا..يا (فارس)..أنا لست حقيقية.. أنا لا أعيش إلا داخل خيالك لأعذبك بحبي، كما عذبت كثيرات في حياتك الجامحة".
تملكتها الجرأة فاقتربت بتهور لتلمس وجهه بالفعل، وقبل أن يستطيع الإمساك بها كانت تبتعد لتخفي احمرارها الشديد في إضاءة الغرفة الخافتة..
حاول إمساكها ثانية، ولكنها أفلتت مرة أخرى، وعندها سقط من فوق الفراش متأوهاً ليفقد الوعي بعد أن ضرب رأسه بحافة الطاولة الصغيرة. ضربت قدمها بالأرض وهي تركض بلهفة نحوه، وعندما تأكدت أنه بخير تركته مكانه بعد أن وضعت عليه غطاءه. فمن العبث مجرد محاولة تحريكه من مكانه وهو ضعف وزنها مرتين. بدلت ملابسها لاعنة غبائها الذي دفعها لهذا التهور. وقفت أمام المرآة تحدق بنفسها بخجل لا تكاد تصدق ما فعلته.
في الصباح، انتفضت مجفلة على صراخه العالي، فتنفست بعمق عدة مرات وارتدت قناعها الخشبي وهي تدخل إليه، لتتصنع

المفاجأة لوجوده على الأرض:ـ" يا إلهي..(فارس). ما الذي أوقعك على الأرض؟"
وأردفت بضحكة مكتومة:ـ" هل أوقعتك بنات أفكارك وأنت تطاردها؟"
زمجر غاضباً:ـ" أتعنين.. أن.. أن..".
هزت رأسها بشفاه مقلوبة:ـ"أن ماذا؟ هل تسأل عن أحد؟"
ضرب الفراش بيده بقوة صارخاً:ـ" ساعديني".
حذرته بنبرة مهددة:ـ"لا تصرخ.. أذناي بحالة جيدة، أستطيع سماعك جيداً".
تجاهل تهكمها وسألها لاهثاً بعد أن عاد لفراشه:ـ" (جيدا).. هل وجدتها؟ تلك الفتاة التي..."
سألته باستنكار:ـ" بعد كل ما سببته لك لازلت تفكر فيها؟ للأسف لم أجد أي فتيات في القصر. لابد أنك جائع. كيف حال كتفك؟"
قطب حاجبيه متسائلاً عن سبب ارتباكها. أتراها تعرف سر تلك الفتاة وتخفيها عنه؟
تلفت حوله وكأنه يبحث عن أي دليل على وجودها، ثم نظر باتجاه خروج (جيدا). لابد أنها تعرف شيئاً عن تلك الفتاة.. لا يمكن أن تكون من خياله..لا يمكن.
وصمم على حل هذا اللغز...
ولكن أيام مرت دون أن يرها مرة أخرى أو حتى يمسك طرف أي خيط لمعرفة سرها..وما شغله أكثر هو زوجته نفسها.
أحياناً يكاد يقسم أنها ما تزال تكن له ذلك الحب الكبير، ولكن..أحياناً كثيرة ييأس من أن توليه ولو نظرة احترام واحدة.
ولكنه أصبح مؤخراً متأكداً من إحساس واحد. أنه لا يطيق رؤيتها جوار ذلك الصديق الطيب..(مهاب)..
*****

(١٩)

نظر لملابسها بتساؤل:ـ" هل ستخرجين؟"

:ـ"نعم..دعتني ليان لحضور عيد ميلاد ابنتها.. هل تريد شيئاً أجلبه لك معي؟"

:ـ" كلا..شكراً لكِ. استمتعي بوقتك. (جيدا).. هل سيكون (مهاب) في الحفل؟"

ردت ببرود وهي تصفق الباب خلفها:ـ" بالطبع.. فهو صديق العائلة".

وهو الذي ظن أن المرأة التي تصل به لحافة الجنون لم تُخلق بعد، ولكن ها هو يرغي ويزبد ويطيح بالأشياء من حوله، من دون أن يواجه السبب الحقيقي لكل هذا الغضب. فقط أنها يجب ألا تتجاهله بهذا الشكل، وعليها الانتظار حتى انتهاء معاملات الطلاق قبل أن تفعل ما يحلو لها.

حاول أن يتمالك غضبه ويتذكر كل ما يعرفه عن ضبط النفس، وأخذ يسترجع ذكرياته مع أجمل النساء اللواتي قضى معهن أسعد أيام حياته. ولكنه كلما سار في هذا الطريق وجد نفسه لا يتذكر إلا وجهها، بنظاراتها الكبيرة التي تحجب عنه لون عينيها، أو ابتسامتها وحنان لمساتها تخفف عنه آلامه، رغم أنه المتسبب في كل آلامها وهو يحتال عليها لسرقة قصرها الذي تعتبره أكثر من مجرد جدران شاهقة..الآن فقط أصبح يعرف.

كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل عندما وصل غضبه وقلقه للذروة، فحجل على عكازه خارجاً من الكوخ يراقب البوابة رغم الآلام الرهيبة التي أخذت تنبض في كتفه وذراعه التي يرتكز بها على العكاز.

ولم يسعه الجلوس من شدة القلق.. ومرت ساعة أخرى قبل أن يرى الأضواء الكاشفة لسيارتها من أسفل البوابة.. فتحرك مسرعاً ليفتحها لها عندما أوقفه صوت ضحكتها الذي لم يسمعه

أبداً. استرق النظر من بين حديد البوابة متستراً بالظلام، ليراها في سيارة غريبة تستمع لمحدثها وتضحك حتى تدمع عيناها.
ازداد اقتراباً يدفعه فضوله ليعرف من له الشرف بصحبة زوجته، ولم يخب ظنه عندما رآه على ضوء السيارة الداخلي.. فكر بسخرية"صديق العائلة". أجفل كمن ضُرب على رأسه بمطرقة عندما لمح يده تمتد لتربت على وجنتها بحنان، وعيناه ترمقانها بنظرة لا يعرف معناها إلا رجل مثله.. نظرة الرغبة مجردة.
شعر بما لم يشعر به في حياته.. بنار تستعر في رأسه حتى يكاد ينفجر.. كف عن التلصص عندما تسرب من جعبته معينه من الاحتمال، وأسرع عائداً للكوخ ومنه لغرفته بصعوبة. استلقى على فراشه لاهثاً بقوة مخرجاً كل الهواء من صدره كي تنتظم أنفاسه قبل أن تدخل، وفي خلال الدقائق الخمس التالية كان الشيطان قد تسلى على حسابه مصوراً له أسوأ ما يمكن أن يحدث في تلك السيارة بالخارج.
أخيراً.. سمع صوت محرك السيارة يبتعد وأصوات أقدامها تقترب من الغرفة حتى دخلت.
التفت لها بدهشة:-"عجباً! لم تطرقي الباب هذه المرة".
ردت بصوت مترنح زاد من غيظه المكبوت خلف واجهة من الملامح الهادئة:-" ظننتك نائماً.. لم أنت مستيقظ حتى هذه الساعة المتأخرة؟"
رد متثائباً:-" جافاني النوم.. وآلام كتفي لم تمنحني دقيقة واحدة من الراحة".
:-"هل ترغب لو أدلكه لك؟"
:-" إن لم تكوني متعبة من.. الحفلة".
تراقصت شرارات متحدية وهي تقترب منه وتخلع له قميصه بشدة مما دفعه لإطلاق أنة متوجعة رغماً عنه.. رفعت حاجبيها

باستهجان: هل آلمتك حقاً؟!آه..كانت الحفلة ممتازة".
بدت متسلية برؤيته متألماً.
استلقى على بطنه مستسلماً للمساتها التي بدأت قاسية ثم رقت.
سألها:ـ" ولكنني لم أسمع صوت فتح البوابة.. هل تركتِ سيارتك بالخارج؟"
أجابته ببرود:ـ" كلا.. لقد أوصلني (مهاب) عندما تأخر الوقت.. لم يرغب أن أقود السيارة بعد أن أعطتني ليان دواء للحساسية للتخفيف من أعراض البرد".
التفت يسألها بقلق:ـ" هل أنت مريضة يا (جيدا)؟"
أجابته بتنهيدة تعب:ـ" يبدو أنني أُصبت بالبرد بعد خروجي إلى (ليان) قبل أن يجف شعري. لم أتوقف عن العطس منذ غادرت، لذا منحتني (ليان) دواء للحساسية وتطوع (مهاب) بتوصيلي".
غمغم قابضاً على الوسادة متخيلاً لو كانت رأس (مهاب):ـ" يا له من صديق رائع! على استعداد دائم لتوصيل الزوجات المريضات للمنازل"
ردت بتثاؤب:ـ" نعم.. (مهاب) رجل طيب".
ضرب بقبضته الفراش مرة أخرى فالمحادثة لم تغضبها كما توقع، ولكنه بدأ يشعر بارتخاء يديها على كتفه. رفع رأسه يستطلع فوجدها نائمة مستندة على ظهره. هزها برقة وحذر:ـ"(جيدا).. (جيدا)".
ولكنها كانت في سبات عميق.
همس حانقاً:ـ"ماذا أفعل بها؟ آاخ.. كم وددت لو أمسكت بعنقك حتى أزهق روحك بين يدي".
ولكنه لم يخنقها.. استدار لترتكن على صدره بوداعة.
مد يده ليحل الوشاح حول عنقها، ثم خلع نظاراتها.. وأخيراً أزاح القبعة.. وكان في انتظاره مفاجأة.
****

(٢٠)

كانت ما تزال تراوده مشاعر متناقضة، بين أن يتركها أو يحاول تخطي الحاجز الأخير بينهما.. وأخيراً استقر رأيه........

أزاح القبعة الغريبة عن رأسها.....

كانت المفاجأة أكبر من استيعابه وظن نفسه ما يزال نائماً يحلم، ولكن التفاف خصلاتها الغزيرة الحمراء على أصابع يديه أكد له أنه أبعد ما يكون عن الأحلام. ازدرد لعابه بصعوبة متأملاً حوريته الحمراء التي أرقت منامه لليالي طوال وهي بين ذراعيه دون أن يدري...

:ـ" أنتِ هنا يا حوريتي الشقية دون أن أدري؟! شيء بداخلي كان دائماً يشير إليكِ ولكنني لم أصغ إليه.. ليتني فعلت".

أخذ في تأمل ملامح وجهها التي فتنته وشغلت أفكاره وداعبت أحلامه. إنها هنا بين يديه يتأملها ويلمسها عن قرب.. داعب خصلات شعرها الناعمة وقربها من وجهه يتلمس نعومتها ويتشمم رائحتها المسكرة. كم تبدو رقيقة هشة.. ناعمة وسرمدية لكنها حقيقية، وليست خيالاً.. وأبداً ليست من بنات أفكاره. عندما وصل لهذه النقطة تبدلت فجأة تعابير وجهه، واحتدمت مشاعره داخله بعد مرور الصدمة، وبدأ غضبه بالفوران مرة أخرى وهو يتخيلها تسخر منه طوال الوقت.. و ما حدث ليلة أمس. تأوه بصوت مكتوم متأملاً ملامحها الملائكية متذكراً ما حدث منها وقد ظن نفسه يهذي، وهي استغلته أسوأ استغلال. ما تزال رائحتها العطرية عالقة بخياله بملابسها المجسمة وصوتها الملائكي، وشعرها الملتف حولها كهالة من أشعة الشمس الغاربة التي تداخلت مع حمرة خديها الفاتنة.. يا إلهي كيف سخرت منه بهذا الشكل؟ وكيف جرؤت على خداعه. احمر وجهه بقوة متخيلاً نفسه كالأبله وهي تلهو به وتسخر منه، لا شك أن أصدقائها أيضاً يعرفون وهو الأحمق الوحيد

الذي يسخر منه الجميع.. كم رغب بهزها بعنف بكل ما يعتمل داخله من غضب لتستيقظ بين يديه ويريها من الأحمق.
راودته نفسه أن يحصل على حقه الشرعي الآن نكاية بها، لكنه عاد فتنهد بصعوبة معاتباً نفسه:ـ" لم تفعلها من قبل، ولن تبدأ الآن.. هي امرأتك ولك كل الحق بها، لكنك لن تسرق ما هو لك شرعاً".
أحكم الغطاء حولها ليُبعدها عن ناظريه، ثم استلقى جوارها يحاول تهدئة أعصابه... وبعناد رفع يدها ووضعها على صدره، متمتماً بمكر حانق:ــ" الآن سنرى ردة فعلك يا زوجتي المعقدة".

فتحت عينيها بكسل متأوهة بتعب من شعور مهلك يكتنفها وكأن كل عظامها مسحوقة أسفل شاحنة عملاقة. تحسست بيدها.. لم تكن وسادتها الناعمة. حدقت برعب كبير بالصدر العريض الذي تستلقي يدها عليه بكل وداعة وكأنه مكانها الطبيعي. رفعت يدها ببطء لتفاجأ بذراعه ملتفة على خصرها بتملك. دفعتها عنها بعصبية لتنتفض واقفة مبتعدة تحدق فيه شاهقة بأنفاس مكتومة خشية أن توقظه بصوتها. ثم أخيراً لاحظت ما ظنته كابوساً مرعباً في البداية.. فقد كانت بدون قبعتها ونظاراتها، وشعرها يتأرجح بشلالات متناغمة حولها دون أي قيود..
عمل عقلها بسرعة لتتذكر كيف ومتى وصلت لحد خلع تنكرها والنوم على صدره، وأغمضت عينيها تتوسل بصمت..
"هذا حلم..مجرد حلم..أنا أحلم..نعم..أحلم".
فتحت عينيها بقوة لتشهق مرة أخرى وتجد كل شيء على حاله. تسللت بهدوء تلملم أشياءها وتحركت باتجاه الباب على أطراف أصابعها وكادت تنجح، ولكن قبل بلوغها الباب ببضعة سنتيمترات فقط جاءها صوته الذي جمدها مكانها:ــ"هل

ستتسللين هكذا؟! حتى بدون قبلة الصباح لزوجك وحبيبك؟"
احتمت بقبعتها فوضعتها في سرعة على رأسها صائحة بارتباك متمنية لو تنشق الأرض وتبتلعها:ـ" أي قبلة هذه التي تطالب بها؟ ولماذا تنظر لي بتسلية.. وكأن.. وكأن.. شيئاً ما حدث بيننا؟ عم تتحدث؟!"
احمر وجهها بشدة من نظراته المتلاعبة عليها ولكنها حاولت أن تكون ثابتة وهي تسمعه يقول:ـ" هل أنتِ واثقة أن شيئاً لم يحدث؟ هل تذكرين فعلاً كل ما حدث ليلة أمس؟"
عمل عقلها مرة أخرى لتتذكر ولكنها فوجئت بصفحة بيضاء تماماً، فصبت عليه جام غضبها:ـ" أنت..أنت كيف تستغلني بهذه الطريقة؟ ألا تملك أي ضمير؟؟ لا..لا تُجب على هذا السؤال، من المؤكد أنك لا تملك أي ذرة منه، وإلا ما تزوجتني من البداية".
هز رأسه متلاعباً بأعصابها بنبرات ثلجية:ـ" جوجو حبيبتي.. تصورين الأمر وكأنني جررتك من أريكتك وألقيتك في أحضاني.. لست سوى رجل عاجز مسكين مكسور الساق ومكدوم الرأس، كما أنني أصاب في المساء بهلاوس سمعية وبصرية من تأثير المسكنات فأرى بنات أفكاري ترتدين ملابس مثيرة ويحاولن لمسي... آسف حبيبتي أن أقول لكِ إنكِ قمتِ بهذا العمل كله وحدك.. جئتِ إلي بدلال بعد عودتك من حفلة الأمس وخلعت قميصي بحجة تدليك كتفي، ثم بدأتِ بالفقرة الأكثر إثارة، عندما خلعتِ قبعتك ونظاراتك وألقيتِ بنفسك على الفراش بجانبي.. وما أنا سوى بشر فكيف أرفض كل هذا الإغراء؟ جريمة في حق رجولتي لو أدرت لكِ ظهري".
تصاعدت ألوان الطيف كلها لوجنتيها وعيناه تستكشفانها مرة أخرى، وكأنه يعيد لخياله ذكريات الليلة الماضية.. اشتد غضبها من نفسها، وكانت كلماتها تشبه البكاء وهي تضرب الأرض بقدميها عاجزة عن تذكر أو تصديق ما يقول، وجانب من نفسها

يلومها لاستسلامها لأحلامها التي لطالما راودتها بعيداً عن الواقع.. أيعقل أن يكون هذا بتأثير ذلك الدواء اللعين الذي أعطته لها (ليان).. هل يمكن أن يكون قد أثر على إدراكها فنفذت ما يدور في أحلامها بدون وعي؟!
:ــ"كلا..أنت تكذب..أنت كاذب وقح.. أنا لا يمكن أن.. أن.. أتصرف بهذه الطريقة الخالية من الحياء، حتى لو كنت غائبة عن الوعي".
رد عليها بذات النبرة المستفزة والتي زادت من إحساسها بكراهية نفسها ورغبتها بالموت من شدة شعورها بالمذلة:ــ"حبيبتي.. لم كل هذا الحياء؟ المرأة لا تخجل من زوجها.. في الحقيقة أنا هو الخجل من نفسي، لأنني بعد كل ما فعلتِه لم أستطع أداء واجبي نحوك.. تلك الجبيرة اللعينة أعجزتني عن الحركة..آسف حبيبتي".
ولأول مرة لا تجد من كلمات ما ترد به، وهي تشعر وكأن سطل ماء مثلج سقط على رأسها المتلظية بنيران أفكارها المذلة.. لاحقها صدى قهقهاته الساخرة حتى بعد أن دخلت الحمام وأغلقت على نفسها الباب، وجلست تلف ساعديها حول ركبتيها بحركة دفاعية، تحتضن نفسها لتحميها من قوى المشاعر التي تغزوها والتي أبقتها في عقالها فترة من الزمن، ولكن ليس بعد الآن. فقد أفلتت محطمة كل دفاعاتها التي ظلت تبنيها بصبر طوال الفترة الماضية.. شهقت بنحيب مكتوم وشدت على قبضتيها بعصبية شديدة حتى أحست بأظافرها تجرح راحتي يديها.. سرت رعدة في جسدها كالكهرباء وهي ترى كل أفكارها وأوهامها الرومانسية تنهار محطمة دفعة واحدة..
فكرت ببؤس:ـ"ربما أعتقد أنه أصبح يمتلكني.. ولكنني لم ولن أكن ملكه أبداً".
أيقنت هذا من داخلها، ولابد أن تتأكد أن الفكرة ستصله.. لن

يتسلى على حسابها مرة أخرى أبداً..أقسمت وهي تكتم شهقة نحيب أخرى..
بعد مرور وقت طويل في مكانها وقد صفا ذهنها وبعد تفكير عميق قررت أن كل هذه المهزلة لابد أن تتوقف.. لابد أن يرحل بدلاً من أن تتعذب برؤيته في كل لحظة تمر وهو أمامها..
ولكن.. فكرت بأسى..عدم رؤيته مرة أخرى سيكون بمثابة خنجر مسموم يمزق قلبها.
أخذت تشهق بنحيب مكتوم:ـ"لماذا لم تحبني.. لماذا؟"
تذكرت بألم مزق أحشائها نظراته الباردة المتسلية. كانت بين ذراعيه بكل جمالها الذي حجبته عنه، ولكنه لم يبد وكأنه تأثر بأي قدر، وهو رجل يقدر المرأة الجميلة.. كان الأمر سيان بالنسبة له سواء حجبت شعرها ومفاتنها، أم أظهرتها للعيان.
آلمها غرورها وكبريائها، هي التي ظنته سيخر تحت قدميها صريعاً ما أن يراها.. ظلت طوال الليل بين ذراعيه فاقدة الوعي والإدراك وكل ما نالته منه مجرد نظرة باردة وسخرية..أدمتها دموعها على ثقتها المهدورة بنفسها، وورقتها الرابحة التي كانت تختزنها لتلقيها في وجهه في النهاية بكل تكبر وعنفوان..
ولكن الضحكة الأخيرة كانت من نصيبه _لقد تأكدت من هذا تماماً_ كما كانت منذ البداية. فهو لم ولن يحبها ولو كانت المرأة الوحيدة على الأرض. هذا ما استنتجته من نظراته الساخرة.
لملمت ما تبقى من كبرياءها الجريح ونهضت لتغتسل. استعانت بأدوات الزينة التي لم تضطر لاستعمالها يوماً، لتخفي تورم عينيها واحمرارها.. مشطت شعرها وعقصته ذيل حصان ثم ارتدت ثياب منزلية عادية بنطلون ضيق وتي شيرت خفيف..
خرجت بوجه جامد لا يُظهر ما خلفه وبدأت بإعداد الإفطار.
وضعته في مكانه المعتاد في الحديقة الخارجية ودخلت تناديه، طرقت الباب وواجهته بوجه أسمنتي الملامح:ـ" الإفطار جاهز

بالخارج".
ناولته العكاز وبدون أن تدرك ما تفعل كانت تمد يدها لتساعده بدون طلب منه.. بتصميم على تجاهله للنهاية تحاشت التقاء العيون، جلست أمامه في المقعد المقابل تشعر بعينيه تكاد تخترق جدارها الأسمنتي. صبت الشاي وقدمت له فنجانه...
فجأة وجد بحر عينيها الزرقاوين شاطئ رمادية عينيه وكأنه شاطئ عذري لم يلمسه بشر. بصوت مختنق من التأثر ويدين مرتعشتين بما تحمل قالت:ـ" (فارس).. الشاي".
:ـ" آه..شكراً..لستِ على ما يرام...هل أنتِ بخير؟"
:ـ"أشعر بصداع مهلك".
تراجع مضجعاً في مكانه يتساءل:ـ" آه.. هذا يذكرني.. كم حبة دواء أعطتك (ليان).. لا يمكن أن يحدث لك كل ما حدث بالأمس من حبة واحدة فقط".
ردت بتحدي مماثل وهي ترشف الشاي ببطء:ـ" لا أذكر تماماً.. كانت إحداها لوقف الرشح والأخرى للحساسية ولا أذكر لم كانت الثالثة..ربما خافضة للحرارة".
أكمل اتهامه السافر:ـ" ومادمت غير معتادة على هذه الأدوية، هل كان من الحكمة أن تخرجي بعد استحمامك مباشرة في مثل هذا الجو؟"
احتدت نظراتها:ـ" إن كانت تصرفاتي لا تلق ترحيباً مع حضرتك، ماذا بيدك أن تفعل؟"
رد بهدوء ما يسبق العاصفة التي رأت إنذاراتها وشيكة:ـ"أنتظر الحفل القادم كي تعودي للمنزل بصحبة رجل آخر وقد لا يكون بالصدفة أيضاً زوجك".
حاولت ضبط أعصابها وهي ترد بهدوء مماثل:ـ" لا تزعج نفسك بهذا الموضوع كثيراً..على ما أعتقد عيد ميلاد ابن (ليان) الآخر سيكون بعد مغادرتك بيتي، وبالتالي فسخ زواجنا المهزلة من

بدايته لنهايته".
ضرب المائدة بيده فقفزت الفناجين في الهواء وعادت مكانها بدوي مزعج:-" كنت أظنك سيدة محترمة".
ابتلعت الإهانة وهي تميل عنقها بلا مبالاة:-" وأنا أيضاً يوماً ما ظننتك رجلاً شريفاً، بينما كانت كل اهتماماتك تنحصر بقصري".
أغضبه ذكرها لسبب زواجهما، فتذكيره بما فعله بها أصبح يؤلمه وهو ما زال يحاول أن يفهم السبب، وانعكس غضبه على صوته وهو يقول:" لا أر فارقاً بين تصرفي وتصرفك، بإخفائك جمالك خلف تلك الأسمال التي كنت تدورين بها حولي".
صرخت بصوت متعجب:-" كيف؟ كل ما أردته هو الحب.. الحب الخالص دون أي غرض.. كيف تقارن بين...."
قاطعها:-" بين ماذا؟ خدعتي لكِ -كما تصرين- للحصول على القصر وذلك لمصلحتي الشخصية.. وأنتِ؟ خدعتني بمظهر وهيئة مزيفين للحصول على حب خالص تتمتعين به، وتلك مصلحة شخصية في رأيي..الفارق أنكِ ظننتِ أنني سأقفز من السعادة عند اكتشافي الأميرة الساحرة المختفية خلف مظهر الفتاة المعقدة.. وهذا غرور متضخم لو طلبتِ رأيي".
بُهتت من كلامه ومن رؤيته للأمور، وصُدمت بشدة لرأيه بها.. كيف يجرؤ على اتهامها بالغرور والخداع؟ كيف يجرؤ على التفكير أنهما متساويين في الجرم؟
استعاد هدوءه بعد أن أرضاه رؤية شرارات الغضب في عينيها فملأ صدره بدفعة هواء كبيرة:-" أعيدي مخالبك فالأمر لا يستحق أن نتقاتل بشأنه.. واليوم نذهب للمشفى لفك الجبيرة لتتخلصي من ضيفك الثقيل".
هتفت بقلق:-" ولكن الشهر الذي حدده الطبيب لم ينته بعد".
رد بجفاء:-" وأنا لم يعد باستطاعتي احتمال البقاء هنا ساعة أخرى".

انتفضـــت مـــن مكانهـــا تغالـــب دموعهـــا التـــي تهـــدد بالانفجار:ــ"الشعور متبـادل أيهـا السـيد.. فأنـا لـم أعـد أحتمـل وجودك ولا لحظة واحدة أخرى، سأدخل لأبدل ثيابي ونذهب".
دفعتها ثورتها للمبالغة وهي تنظر لنفسها في المرآة:-" حسناً يـا سيد (فـارس).. إن لـم أر جمـالي بعينيـك، سـأجبرك علـى أن تـراه في عيون كل الرجال من حولـي".

*****

(٢١)

ظن أن صدمة ليلة الأمس عند اكتشافه هويتها ستكون أكبر وآخر صدمة يتلقاها في حياته خاصة من امرأة. كان متفائلاً بشكل مبالغ فيه عندما خرجت مختلفة تماماً عما توقع يوماً. كانت أنيقة وكأنها خارجة لتوها من مجلة أزياء راقية..بنطلونها الأبيض الرقيق، فوقه بلوزة ذات لون سماوي بأكمام طويلة بعيدة كل البعد عن ملابسها الفضفاضة دون أن تكون مبتذلة، بالإضافة لشعرها الذي لم تخبئه بقبعتها الغريبة وتركته حراً يتأرجح حول قدها النحيل. مظهرها جعله يتساءل"متى كانت تمتلك هذا القوام الفاتن؟"

رفعت رأسها تواجهه بتحد:-" أنا جاهزة.. أعتقد أننا سنستعمل سيارتك.. (مهاب) لم يُعد سيارتي بعد".

أغمض عينيه مبتلعاً كل الكلمات التي أراد قذفها في وجهها ثم فتحهما يرمقها بابتسامة لا مبالية:-" وأنا جاهز.. تفضلي".

قادت السيارة ببطء متعمد في طرقات البلدة، وازدادت حنقاً فهي لم تصل لهدفها بعد.. إثارة غيظه وحفيظته.

كان سارحاً في أفكاره عندما أدرك أخيراً سبب تخفيها خلف الملابس الفضفاضة والقبعة السخيفة، فقد كانت تخطف أنفاسه كلما مالت برأسها وتمايل شعرها حول وجهها بإغراء يزداد وهي تعيده بأصابعها تتخلل خصلاته الحريرية المتمردة، بالإضافة لابتساماتها التي أسهبت في توزيعها يميناً ويساراً لكل من يلوح لها..

وصلت لقمة انتصارها عند دخولهما المشفى.. فقد بدأت ترى الدخان يتصاعد من رأسه وشرارات عواصف رعدية مدمرة تطل من رمادية عينيه.

اضطر لأن يرفع صوته كي يحصل على انتباه الطبيب الذي سرح في جمال زوجته فكانت القشة التي أغرقت البعير.

:ـ" دكتور... من فضلك أنا المريض هنا، لا زوجتـي.. هل لـك أن تعيرني انتباهك لو سمحت؟"
:ـ" آه.. عفواً ماذا قلت؟ زوجتك! لقد ظننتها.. ولكنني رأيت زوجتك..وهي لم..".
ضغط (فارس) على نواجذه حتى شعر بألم مبرح في كل فكه السفلي وتمتم بصوت متقطع:ـ" أقسم لك أنها زوجتي.. والآن.. هل نعيد الاهتمام لساقي، السبب الأساسي لوجودي هنا الليلة؟"
:ـ" آه..طبعاً يا سيد (فارس). كما سبق وأوضحت يا سيدتي الكسر لم يلتئم تماماً، وفك الجبيرة الآن سيكون فيه خطورة".
قاطعه (فارس) بعصبية:ـ" لابد من وجود حلول أخرى غير تلك الجبيرة الثقيلة، تكون مناسبة لوضعي أكثر".
:ـ"آه في الواقع يوجد جبيرة متحركة تستطيع نزعها وإعادتها مدعمة بألياف زجاجية، قد تكون مكلفة.. ولكنها..".
صاح (فارس) بصبر نافذ:ـ" لا يهم.. طالما أنها ستسهل حركتي".
رمق الطبيب (جيدا) بنظرة ذات معني مردفاً:ـ" أنت محق بطلبك للحرية... لو كانت لي زوجة كزوجتك، لقدت ثورة لاستعادة حريتي".
احمر وجه (جيدا) بقوة بينما زاغت نظرات (فارس) الخطرة بينها وبين الطبيب الذي أردف بعد تنهيدة عميقة:ـ" سأرى ما يمكنني عمله بهذا الشأن".
في نهاية اليوم بعد أن تم له ما أراد، واستبدلت جبيرته بجبيرة الألياف الزجاجية الأخف وزناً، شعر (فارس) براحة كبيرة بعد عناء يوم كامل رأى أنه يستحقه. فهو سعى لهذا العذاب وعليه الاحتمال، خاصة وزوجته ترسم على وجهها طوال اليوم قناع اللامبالاة بما يدور حولها وكأنها لا تشعر بأعين الرجال تكاد

تسلخ عنها جلدها.
وزاد من انحراف مزاجه قرار الطبيب الحازم بعدم قيادة السيارة حتى يستقر وضعه تماماً..
بعد وصولهما البيت تجاهل وجودها تماماً، كان يشعر بإرهاق شديد فتوجه لغرفته فوراً وأوصد الباب من الداخل ليمنعها من الدخول. ملأ إحساسها بالهزيمة نفسها بالمرارة والإحباط، ولم يستمر إحساس النصر طويلاً. توقعت مشاجرة لمنتصف الليل ولكن صمته البارد زاد من حزنها.
حاولت مناداته بعد أن أعدت الطعام ولكنه استمر على صمته وعدم فتح الباب والسماح لها بالدخول. جلست على الأريكة بانتظار أن ينهي اعتصامه ولكن غلبها النعاس بعد يوم طويل ومرهق..
انزلقت رأسها بنعومة جانباً وحلمت بحلمها الذي لن يتحقق أبداً.. فارس أصبح زوجها الذي تمنته دائماً وقصرها الخاوي تحول لخلية نحل بعد أن امتلأ بدستة أطفال يشبهون أباهم.

أخيراً قرر الخروج من عزلته، فخرج يبحث عنها ليتلو عليها قراراته الصارمة، عندما رآها نائمة وسط غيمة من شعرها الحريري، وقد كتفت صدرها بذراعيها وكأنها تعانق نفسها و ارتسمت ابتسامة رضا على ثغرها...
تساءل بغيرة تكاد تمزق أحشاؤه:ـ"ترى من يشغل أحلامك يا (جيدا)؟"
لم يستطع منع إغراء أن يجلس جوارها ماداً ساقه المجبورة أمامه ثم مد يده ليبعد شعرها عن وجهها. فتحت عينيها فجأة لتجده قريباً منها بهذا الشكل، تسارعت أنفاسها لاهثة.. هل سيتحقق حلمها بهذه السرعة؟
ظلت مكانها ساكنة خائفة أن يتبدد الجو الرومانسي فسألته

بصوت مبحوح:-" (فارس).. ماذا تفعل؟"
:-" كنت أبحث عنك.. ووجدتك نائمة".
:-"هل... هل أنت جائع؟ لقد أعددت..."
:-"لا.. شكراً لا شهية لي.. (جيدا) أريد أن أطلعك على أمر هام.. سأغادر غداً".
ردت بوجوم محاولة إخفاء حزنها الشديد:-" أه..نعم بالطبع.. كان هذا متوقعاً بعد إصرارك على نزع الجبيرة قبل موعدها".
:-"نعم...ولكن قبل أن أرحل من حياتك لي طلب أخير.. رغم أنكِ ربما ترين من وجهة نظرك أنه لا يحق لي أن أفرض عليكِ أي طلبات.. لذلك يمكنك تسميتها أمنية أخيرة".
رمقته بنظرة متسائلة لا تكاد تقوى على السؤال من شدة جفاف حلقها، فأردف بنبرة حزينة متأثراً لابتعادها:-" سنقيم حفلاً.. حفلاً كبيراً ندعو إليه كل أهل البلدة بلا استثناء".
ازدردت لعابها بصعوبة وهي تبتعد لآخر الأريكة:-" تقصد حفلة.. وداع؟"
:-"نعم يا (جيدا)..أنا مدين لكِ بها.. الحفلة الأولى لم تكن مني.. وأنت تستحقين مثل هذا الاحتفال".
ندت عنها زفرة ساخرة كي لا تنفجر باكية:-" تقصد مكافأة.. كالتي يتقاضاها الموظف في نهاية خدمته الوظيفية".
غمغم متجاهلاً سخريتها:-"أفضل تسميتها حفل وداع.. كما أنني سأبتاع لكِ ثوباً.. أرجوكِ.. لا ترفضيه".
وضعت ساقاً على أخرى قائلة بنبرة تعالي:-" كما تشاء يا (فارس) بك.. سأنفذ طلبك أو أمنيتك بدون أن أسأل عن الأسباب، فقط لأتأكد أن العد التنازلي لخروجك من حياتي قد بدأ".
تلون وجهه وكأنه لم يتوقع ردة فعلها:-" إذاً غداً مساءاً سنقيم الحفل في حديقة القصر.. خلاله سأنسحب بهدوء، دون أن أسبب

لكِ أي مشاكل أخرى".
ردت باندفاع ندمت عليه:-"ولكن الطبيب حذرك من القيادة".
-"لا تشغلي نفسك بهذه الأمور..لقد تدبرت أمري. فقط فكري بنفسك وكيف ستحتفلين غداً بنهاية زواجنا.. اخطفي الأبصار ببريقك، وأنا سأتكفل بالباقي. آه.. تذكرت.. أنتِ لا تبذلين مجهوداً لخطف الأبصار.. كوني كما أنتِ يا (جيدا)".

*****

(٢٢)

كما وعد..
تكفل بكل شيء بعدة اتصالات هاتفية، وكان الغزو قائماً على قدم وساق في حديقة قصرها..
لاحظت بتقدير أن أحواض الزهور كانت أولى اهتماماتهم فتمت إحاطتها بأسيجة خشبية حتى لا تطأها الأقدام. وقبل الظهيرة كان ثوبها قد وصل بطلبية خاصة من أشهر محلات الأزياء، وكان مفاجأة أخرى فوق توقعاتها بمراحل، بعد أن كانت قد أضمرت بينها وبين نفسها أن تلقيه بوجهه وترتدي أحد أثوابها القديمة.
ولكن بمجرد رؤيته داهمتها أحد أمانيها التي أجهضت قبل تحقيقها.كان أشبه بثوب زفاف أبيض.. وها هو بين يديها يتلألأ بقماشه الأبيض اللامع يستحق كل تضحية من أجل تحقيق أمنيتها..
ومع غروب شمس اليوم كان المدعوون قد بدأوا يتوافدون تباعاً. طرقات على الباب نبهتها من شرودها فأذنت له بالدخول..
كان مذهلاً بحق بحلته السوداء التي دجنت بدائيته، فبدا أقرب للبشر رغم ظلال لحيته السوداء التي أعادته لمصاف رجال الكهوف. زفرت الهواء ببطء كي لا يلحظ مقدار تأثرها:ـ" ها.. كيف أبدو؟"
أفاق من شروده على سؤالها وهي تدور حول نفسها، تتلألأ بثوبها كنجمة متوهجة في سماء سوداء. كان ينساب على جسدها بنعومة ورقة حتى أسفل كعبيها وقد رفعته على أكتافها حمالات من لألئ تدور حول فتحة الصدر والظهر كاشفة عن عنقها المرمري وقد رفعت شعرها بتسريحة كالتاج المرصع حول رأسها. هز رأسه بابتسامة استحسان متحفظة، ثم مد ذراعه لتتأبطه:ـ"هيا.. لنستمتع بآخر ساعة لنا كزوجين".
لم تدر السبب ولكنها أرادت أن تسمع رأيه بجمالها، قبل أن تره

في عيون كل من حولها، فابتدرته:ـ"كيف أبدو؟"
أخفى المجهود الذي يبذله كي يبدو غير مبالٍ وهو يركز النظر في عينيها:ـ"لست أجمل امرأة تتأبط ذراعي".
أمسكت بمرفقه قبل أن تخونها دموعها التي قاومتها ببسالة لتحتفظ بها بين أجفانها، حتى حين. سار بجوارها مرتكزاً على عكازه ثم اعتذر ساخراً:ـ" عفواً.. إن كانت ساقي العرجاء تفسد مظهرنا كزوجين رائعين".
توقفت عن الحركة وقد ضاقت عيناها:ـ"عفواً.. أنا عاجزة عن متابعتك.. حقاً.. أنا لا أفهمك يا (فارس)".
غمغم جاذباً يدها ليكملا سيرهما:ـ" ربما فيما بعد.. يا زوجتي الحسناء.. تفضلي.. ضيوفك بانتظارك".
رسمت بالكاد ابتسامة أمام عاصفة التصفيق الهائلة التي قوبلا بها.. ابتعد عنها فوراً فشعرت بفراغ هائل في تجويف صدرها، وانخرطت بين معارفها وأصدقائها تحاول تناسي ألمها بين تعاطفهم وسعادتهم بها. حاولت ألا يبدو عليها خيبة الأمل، وإحساس مرير يتملكها أنها تخدع كل الموجودين الذين لا يعرفون أنهم يهللون ويهنئون قلبها الذبيح بموته قتلاً بسكين صنعتها أيام وليالي انتظارها فارسها المغوار على جواده الطيار..
حاصرتها همهمات وتساؤلات عن سبب هذا الحفل، وكان ردها مختصراً ومقتضباً أنها بمناسبة شفاءه، ولكن (ليان) لم تصدقها، ليس بعدما قرأت خريطة الدموع بين رموشها المبتلة. بحثت بعينيها عنه فرأته في نقاش جاد مع رئيس البلدية..
جذبتها (ليان) جانباً:ـ" (جيدا)..ما الذي يحدث هنا؟ عندما رأيتك غيرت مظهرك، توقعت أن تكون الأمور انصلحت بينكما.. ولكنني أعرفك أكثر لأدرك أنك تمثلين سعادة لا تملكين منها ذرة".

بصوت خرج كأنه صدى صوتها:ـ" ليس الآن يا (ليان).. (فارس) يراقبنا."
:ـ" على الأقل أخبريني عن سبب هذا الحفل الغريب".
ردت ساخرة:ـ" يقول إنها.. حفلة وداع".
صرخت (ليان) بنبرة مسموعة:ـ" وداع!؟"
وضعت (جيدا) يدها على فم صديقتها بسرعة، فأردفت (ليان) بنبرة خافتة وإن لم تخل من الغضب:ـ" هل هذه مزحة سخيفة؟ ألم يخر راكعاً عندما كشفتِ له قناعك؟"
زفرت ساخرة:ـ" على العكس تماماً.. أصر على إنهاء الزواج بوقت أقرب مما حددنا".
:ـ"هل جن الرجل؟"
تمتمت بصوت مهزوم:ـ" لا تلوميه يا (ليان)، فليس بيده أنه لم يبادلني الحب..اعذريني..سأذهب لأشرف على البوفيه بنفسي".
في طريقها سمعت الفرقة الموسيقية بدأت بعزف مقطوعة رومانسية ناعمة أثملت رؤوس الأحبة، وجمعت العيون فتلامست الأيدي والتف ذراع كل حبيب حول خصر حبيبته، وتمايلت الأجساد مع النغمات الحالمة.
وقفت تراقبهم بتأثر عندما شعرت به جوارها:ـ" آسف".
سألته متعجبة:ـ" لم الاعتذار؟ مجهودك رائع.. لقد نجح الحفل".
بنبرة تحسر لم تفهم أسبابها:ـ" ولكني عاجز عن الرقص مع نجمة الحفل.. ليتني أستطيع".
:ـ"لن تتوقف حياتي لأنك لم ترقص معي".
:ـ"لا داعي لحرمان نفسك.. بإمكان اتخاذ شريك آخر لو أحببت".
بقدر ألمها لتفكيره، لكنها أدركت أنه يحاول توصيل رسالة ما.. أنه لا يهتم إن شاركت أي رجل غيره الرقص أو..الحياة.
تنهدت بارتياح وهي ترسم ابتسامة واسعة ارتجفت لها شفتيها

باعتراض:ـ" أنت على حق يا (فارس) كالعادة.. ليس علي حرمان نفسي.. سأمتع نفسي بغض النظر عن أي شيء".
وسارت كالطير المذبوح لا تكاد ترى طريقها، وتوجهت فوراً ل(مهاب) الذي حاولت تجاهله منذ بداية الحفل إكراماً لزوجها الذي اكتشفت في النهاية أنه لا يبالي.
:-"(جيدا).. هل أنتِ بخير؟"
:-" طبعاً بخير.. لم لا أكون؟ أنا بأفضل حالاتي.. ألن تراقصني؟ هل يجب أن أطلب بنفسي؟"
فوجئ بحدتها فحاول تهدئتها:ـ" بالطبع لا.. ولكنني ظننتك تحاولين إبعادي".
:-"(مهاب) كُف عن الثرثرة وخذني للرقص فوراً".
:ـ"لبيك يا جميلتي.. بالمناسبة لمن يعود الفضل في كل هذا الجمال؟ ل(فارس) بك؟"
ردت بامتعاض وغموض:-" بل الفضل كله لك".
تراجع بدهشة:-" لي أنا!؟ وكيف؟!؟"
:-" فيما بعد.. فيما بعد يا (مهاب) سأحكي لك كل شيء.. والآن هل لك أن تتظاهر بالاستمتاع بصحبتي؟"
رد بتفكه كمن جرحت كرامته:ـ" أتظاهر؟ (جيدا).. أنا رجل يعيش على القمة، والشكر لكِ. أنتِ بين ذراعي كما كنت أحلم بكِ دائماً منذ صغرنا.. هل تذكرين؟"
هزت رأسها بدون وعي لإطرائه، فقد كانت مشغولة بمراقبة انفعالات زوجها المبهمة كالعادة. ولكن أخيراً انبسطت أساريره وفتح ذراعيه لاستقبال حسناء تتلوي بطريقها لأحضانه المفتوحة..بالطبع.. ومن غيرها سيستعين به؟

قفزت الفتاة بين ذراعيه صارخة بحماس:-" (فارس) حبيبي.. أنت على قيد الحياة كم اشتقت لك يا حبيبي."

أشار لساقه قائلاً باقتضاب محاولاً التقاط ردة فعل (جيدا) من بعيد:ـ" لقد أصبت بحادث.. لذلك طلبت منكِ المجيء لاصطحابي."
همهمت بخيبة أمل:ـ"ياااااه... وأنا التي ظننتك اشتقت لي".
:ـ"بالطبع يا حبيبتي اشتقت لكِ.. اخدمي نفسك وتناولي شيئاً من البوفيه قبل أن نذهب".
بعد ذهابها تنفس بحرية، وقد عاد ليراقب (جيدا) بين ذراعي (مهاب) يرمقها بتلك النظرة التي يمقتها، ولكنه تمالك نفسه. فهو الذي دفعها لترقص معه وليس له حق الشكوى. لقد اطمأن عليها مع شخص سيحميها ويقدرها كما تستحق...
عادت صديقته متسللة من خلفه تتبع نظراته:ـ" (فارس).. من هذه الفتاة ذات الشعر الأحمر؟ هل تعرفها؟"
:ـ" ها؟ متى عدتِ؟ من تقصدين؟ لا..لا أعرفها..هيا بنا..لقد حان وقت الذهاب.. لقد وضعت حقائبي في السيارة.. سننطلق فوراً وأغلق هذه الصفحة من حياتي للأبد".

أدار (مهاب) رأسها بذكرياته فانشغلت معه لبعض الوقت، وعندما رفعت رأسها لتبحث عن فارسها الأعرج، لم تجده في مكانه.
اشتدت هوة اتساع الفراغ مكان قلبها الذبيح الذي أنبأها أنه ذهب ولن يعود.. ورغم قلبها النازف ألماً، فقد ظلت محتفظة بابتسامتها الزائفة حتى خروج آخر ضيف.. حتى (مهاب) و (ليان) لم تسمح بأن يشعرا بما حدث، فانصرفا دون أن يشعرا بالمأتم الذي تقيمه صاحبة القصر لقلبها..

*****

(٢٣)

في اليوم التالي ذهبت لدوامها في الصباح وكأن شيئاً لم يكن. رسمت على ملامحها قناع أن لا شيء حدث أو قد يحدث يمكن أن يبدلني، وأنا كما أنا.
لم ينجح أي من أصدقائها بمعرفة أي شيء عن حياتها الخاصة. شعرت أن مشاركتها أي أحد لآلامها خيانة عظمى لنفسها. رأت أنها تستحق هذا العقاب بالوحدة، وستعيشها مرغمة لأنها سعت لها في سعيها للحب الرومانسي الأبدي الذي لا وجود له إلا في أحلامها فقط.
بعد فترة من الوقت كفت (ليان) عن سؤالها. أدركت أن صديقتها تلعق جراحها بصمت ولا ترغب بأن يرى أحد مدى عمق جروحها.
و(مهاب) أدرك أنها إن لم تكن ل(فارس أصلان) فلن تكون له أو لغيره أبداً، ولكن هل يعرف (فارس) هذه المعلومة؟
وأدرك كل معارفها أن (جيدا)، ستكون هي نفسها (جيدا).. أياً كانت الملابس التي ترتديها، سواء كان شعرها مكشوفاً، أم مختفياً أسفل قبعة غريبة الشكل.. ترتدي نظارات كبيرة وسخيفة الشكل، أم تحدق بكل من هم حولها ببرودة زرقة عينيها اللتين فقدتا دفئهما فجأة..غير أنها حرصت أن تكون ملابسها محتشمة تلاءم معلمة بمكانتها.
تقدمت بطلب قرض من البنك بضمان القصر، ولم يتم الموافقة عليه إلا بعد عدة أشهر، وكانت السعادة الحقيقية التي طرقت بابها بعد أشهر من الأحزان.
عندما تسلمت شيك القرض بدأت على الفور في الاستعانة بمكتب هندسي متخصص في العقارات الأثرية، حيث تم الاتفاق على البدء فوراً بالعمل من دون إبطاء.
كانت جالسة في حديقتها تتابع باهتمام العمال في حركة دائبة

عندما دخلت (ليان) و(رؤوف) يعرضان المساعدة فرفضت بإصرار:-" صدقاني لا يوجد ما تساعداني به. أنا نفسي لا أجد ما أفعله، ولكن أعدكما عندما تنتهي أعمال الدهان ستساعدانني في اختيار السجاد والفرش".
سألتها (ليان) بحيرة:-" ولكن..كيف سيكفي مرتبك لسداد ديون القرض يا عزيزتي؟ هل أرسل لكِ (فارس) مبلغ النفقة؟.. و.."
اتسعت عيناها بارتباك وغضب:-" (ليان) .. لم أطلب من (فارس) أي أموال، لقد اتفقنا على الطلاق بدون أي..".
ربت (رؤوف) على يدها بحنان أخوي:-" اهدئي يا (جيدا).. (ليان) تتحدث عن حقوقك.. لا تقصد أي شيء آخر".
:-"لا حقوق لي عند (فارس) يا (رؤوف).. لا أريد منه أي شيء.. البنك لم يوافق على قرضي إلا عندما قدمت له دراسة جدوى بتحويل القصر إلى فندق".
صاح الاثنان في صوت واحد:-" فندق!؟ أنتِ يا (جيدا)؟!؟"
زغرت (ليان) لزوجها ثم تنهدت قائلة:-" ولكن يا عزيزتي، أنتِ ضد فكرة أن يحتل غرباء قصرك".
ردت بإحباط:-" لذلك فكرت بحل وسط.. عندما أسدد كل قيمة القرض يعود قصري لي كما كان.. سيكون فندقاً، ولكن ليس بالمعنى الحقيقي للفندقة. سأستضيف عائلة أو عائلتين كل شهر للإقامة في قصر أثري، والعائد الذي سأكسبه سيكفي لتسديد القرض.. وقد بدأت فعلاً بنشر إعلانات في الصحف ولن تصدقوا كمية الحجوزات التي بدأت تنهال علي".
ضمتها (ليان) بسعادة:-" أنا سعيدة من أجلك يا (جيدا).. كنت قلقة بشأنك، ولكني أظن أنكِ في طريقك للنسيان".
بدلت (جيدا) الموضوع بارتباك:-" (ليان) .. أخبريني ماذا بشأن حفل المدرسة لهذه السنة؟ كما ترين سأكون مشغولة تماماً ولن أتمكن من الإعداد لها هذا العام، وباقي ثلاثة أشهر فقط".

:-"لا تقلقي يا عزيزتي.. لقد وزعت المهام بنفسي على سيدات المجتمع العاطلات، وستكون احتفالية مميزة لهذا العام.. أعني لن يكون بمثل إعداداتك.. ولكن..".
:-" لا بأس يا عزيزتي.. أنا متأكدة أنه سيكون رائعاً، وأتمنى حتى ذلك الحين أن يكون القصر قد استقبل أول ضيوفه، ليتمتعوا بالاحتفالية معنا وتكون دعاية جيدة ومجانية".
قضمت (ليان) شفتها بأسنانها متسائلة بحيرة:-" عزيزتي..ما زلت لا أصدق أنكِ ستسمحين لأغراب أن يسكنوا قصرك.. لن يكون سهلاً عليكِ.. أنا أعرفك".
أطرقت (جيدا) رأسها ثم رفعتها بابتسامة متأرجحة ما بين العبوس والألم الدفين:-" هو كما تقولين.. ولكن عندما أفكر بالأمر من زاوية أخرى أجد أنه من الرائع إحياء جدران القصر الصامتة بضجيج أطفال يتراكضون في ردهاته مرة أخرى حتى.. حتى إن لم يكونوا أطفالي".
وأكملت بنفسها سارحة في منظر القصر من بعيد..
"أو حتى إن كنت سأحتمل أطفالاً غير أطفال (فارس)".

ورغم أيامها التي تمر مشحونة بالعمل حتى الإرهاق الجسدي والنفسي، ووقوفها صامدة أمام الجميع تتكلم وتضحك وتمارس حياتها بصورة طبيعية، في الليل كان الوضع المقبول يتحول لمخيف لدرجة الرعب، عندما توصد بابها بالرتاج وتدخل غرفتها تتدثر في فراشها، وفجأة تبدأ الجدران والمقاعد وحتى الأكواب والصحون بحديث الذكريات الموجع. تحتضن وسادته التي كان ينام عليها بابتسامة حزينة، وتتمنى لو لم تمتلك كل هذا الكبرياء لربما استطاعت استمالته أو حتى أجرت اتصالاً هاتفياً فقط لتسمع صوته. لابد أنه أنهى معاملات الطلاق الآن، وما عليها إلا أن تذهب لمحاميها لتتسلم أوراق الطلاق، التي

أكدت عليه ألا يرسلها بالبريد خشية أن تعرف البلدة كلها بأمر طلاقها.
وكما توقعت..
ففي نهار حفل المدرسة كانت تستقبل أول عائلة في القصر بعد الانتهاء من الترميمات.. وكانت العائلة مكونة من زوجين في متوسط العمر، وثلاثة من الأبناء.. أكبرهم في الحادية عشر وكان مبهوراً بالقصر، والثاني فتاة في السادسة دخلت قلب (جيدا) من أول لحظة.. ولكن ما خطف قلبها فعلاً كان أصغرهم وعمره أربعة أشهر فقط، حيث حملته بفرحة كبيرة ازدادت عندما سمحت لها والدته عن طيب خاطر أن تأخذه في جولة بعد أن وصلوا لمكان الاحتفال..
:-"عزيزتي (جيدا)..بما أنكِ مغرمة لهذا الحد بصغيرنا (زياد)، فسأتركه لكِ وأصطحب إخوته للتمتع بمباهج حفلكم الرائع.. إن لم يكن لديكِ مانع بالطبع".
:-"بالطبع لا.. شكراً لكِ عزيزتي.. أتمنى لكم إقامة طيبة في بلدتنا وفي قصري".
حملته بين يديها ككنزها الثمين تمسد شعره الأشقر بأطراف أصابعها وتلاعب خدوده الحمراء المكتظة وكان مستمراً بمحاولته شد شعرها ولف خصلاته الطويلة حول أصابعه.. سعيداً بحصوله على معجبة جديدة بشقاوته..
:-" (جيدا).. لمن هذا الطفل؟"
:-" آه..(مهاب)..أهذا أنت؟! لقد أخفتني.. انظر إليه..ما أجمله! إنه أصغر ضيوفي في القصر. لقد استقبلت أول دفعة من زبائني اليوم وقبل أن يستريحوا عرضت عليهم الحضور للاحتفال معنا".
حاول حمل الطفل منها ولكنه نظر ل(جيدا) ودمعت عيناه فأعاده لها ضاحكاً:-" يبدو أن جاذبيتك للذكور من جميع الأعمار وليس

على الكبار فقط.. تشجع يا صديقي..أنا أيضاً كدت أبكي عندما تركتني".
أمالت رأسها بمزاح:-" (مهاب).. أين خطيبتك؟ لماذا لا أراها بصحبتك؟"
رد بلا مبالاة:ـــ" إنها هنا في مكان ما، تبتاع بعض الإكسسوارات.. إنها مجنونة بها".
وضعت يدها على ذراعه بحنان أخوي متسائلة:ـ" ولماذا لست معها؟"
رد بتذمر:-" أووه (جيدا).. أنتِ تعرفين الرجال، لا يجتمعون مع النساء والتسوق في آن واحد".
:ـــ"(مهاب)..استمع إلي لأنني أعرف النساء، وأعرف أن (عايدة) ستكون أسعد امرأة في العالم لو شاركها خطيبها كل شيء، حتى ولو لشراء ورق الحمام.. وصدقني لو أسعدتها في هذه الأشياء البسيطة ستسعدك طوال حياتك.. فكر في كلامي".
:ـ"وأنتِ يا (جيدا).. من سيسعدك لتسعديه؟"
أخفت احمرار وجهها في رأس الصغير كي لا يرى دموعها المحتبسة:ـ" اذهب يا (مهاب).. لا تتركها أبداً.. خذ بنصيحتي".
هز رأسه بإحباط وسار مبتعداً على غير رغبة حقيقية منه، بينما شغلت تفكيرها بملاعبة الطفل، حتى توقفت وتوقف الزمن من حولها لدى سماعها لذلك الصوت الذي لن تنساه وهو محفور في قلبها وعقلها:ـ" كيف حالك يا (جيدا)؟"
حتى أصوات الاحتفال والناس وصراخ الأولاد وضجيج السيارات.. لا شيء..
صمت مطبق..وكأن العالم قد توقف ليشهد على هذا اللقاء غير المتوقع. رفعت رأسها وكأنه بالتصوير البطيء لتتأكد أنها ليست داخل أحد خيالاتها اليومية.

*****

(٢٤)

كان رائعاً كعادته على نحو يثير الغيظ بشعره الأسود المبعثر وكأن الهواء يتلاعب به بحرية، وفكه القوي الحازم، ونظراته الخالية من أي تعبير..

أفاقت على صوت (زياد) يهلل بين يديها ليعيدها لهذا العالم:ـ"(فارس)! أنت هنا؟!"

:ـ" نعم.. وصلتني دعوة..آسف.. يبدو أن وجودي ضايقك.. لقد ظننت أن الدعوة مرسلة منكِ كالعام الماضي".

فكرت بذهول:ـ"أحقاً مر عام منذ أول لقاء؟!"

أردفت بسرعة عندما لاحظت تردده:ـ" لا.. أنا لست من فريق الإعداد هذا العام فقد كان لدي ما يشغلني".

وبطريقة عفوية نظرت للطفل..

رد (فارس) محاولاً ابتلاع غصة مفاجأة:ـ" آه..طبعاً..بالمناسبة يشبهك كثيراً، أكثر مما يشبه (مهاب).. رأيته معك منذ قليل بدوتما..أسرة مثالية".

صاحت بذهول متفاجئة من استنتاجه الخاطئ:ـ"لا.. مستحيل. (فارس) أنت فهمت الموضوع...".

ولكنه منعها من الاسترسال مقاطعاً:ـ" على كل حال.. أنا سعيد برؤيتك مرة أخرى، وأرجو أن يكون (مهاب) هو الزوج الذي تستحقه امرأة رائعة مثلك".

كانت ما تزال تحدق فيه غير مصدقة ما تسمع.. وبعد أن سار مبتعداً عنها عدة خطوات، عاد إليها مجدداً وقد بدا منفعلاً للغاية ومتوتراً عكس ما كان يحاول أن يبرهن:ـ" في الحقيقة يا (جيدا)..لقد كذبت... لست سعيداً برؤيتك، وكنت أتمنى لو استمعت لعقلي، ولكنني للأسف ركضت خلف قلبي وغروري الذي أقنعني أنني ربما كنت مخطئاً ولو بنسبة واحد في المائة وأنني قد أجدك.... بانتظاري، لذلك ركضت إلى هنا فور تسلمي

بطاقة الدعوة.. ظننتها منك..هيا..اسخري مني فأنا أستحق هذا..هيا يا (جيدا)".
تمتمت بحلق جاف ودموع متحجرة:-" لم ذهبت؟"
:-"ليس هذا هاماً الآن.. لقد تزوجتِ وأصبحتِ أماً.. طفلك جميل يا (جيدا)، ولن تعرفي أبداً كم أتحسر لأنه ليس مني".
ردت بانفعال:-" (فارس).. أنا لا أعرف سبب كلامك الغريب هذا، ولكنني..".
منعها من الاسترسال مرة أخرى:-" لا تقولي شيئاً".
:-" ولكن..."
حينها بدأ الطفل بالتململ، وفجأة بدأ بالصراخ في بكاء حاد واستحال عليهما إكمال المناقشة.. أخذت تهدهده ليهدأ بسرعة وتستطيع توضيح الموقف ل(فارس)..
ولكن عندما بدأ يهدأ التفتت لتجده قد اختفى مرة أخرى، وعبثاً حاولت البحث عنه في كل مكان بين الجموع الحاشدة.
:ـ"(جيدا).. هل تبحثين عن أحد؟ أووه.. لمن هذا الطفل الجميل؟"
التفتت (جيدا) بحدة وملامح عابسة شديدة الجدية نحو صديقتها:-"(ليان) .. من أرسل دعوة ل(فارس أصلان)؟"
شحب وجه (ليان) وتراجعت للخلف بارتباك:-" أه.. (فارس).. نعم يا صديقتي.. كنت سأخبرك.. ولكنني..نسيت. تعلمين أن الأولاد لا يتركون برأسي أي عقل هذه الأيام... هل حدث شيء.. هل رأيته؟"
:-"نعم يا (ليان) .. رأيته".
قالت جملتها بحدة وتركت صديقتها واقفة مكانها عاجزة عن فهم سبب غضبها الشديد...
ذهبت تبحث عن والدي الطفل الذي تسبب لها بمشكلة غير متوقعة وسوء تفاهم غير قابل للحل.. سلمت (زياد) لوالديه

وأسرعت تجد في البحث عنه وعندما يئست أدركت أنه لابد وغادر فوراً بعد لقائهما..

عادت محبطة لتوصد على نفسها بابها وتضع على جرحها القديم ضمادة جديدة بعد أن نكأه (فارس) مرة أخرى بقسوة.. ولكن الألم اليوم كان أكثر وجعاً، فقد جدد نيران الأشواق التي خمدت تحت طبقة من الرماد المتراكم والذي طار بعد أن أججته نسمة هواء عابرة..
هل أحبها فعلاً؟ ما سبب تلك النظرة بعينيه؟ نظرة من فقد عزيزاً على قلبه..ولكن لا..لا يمكن. الحب لا يأتي فجأة. لابد أنها حيلة جديدة لإرباكها طمعاً بالقصر، ولكن ظنه أنها تزوجت أعاده خائب الرجاء، ربما ليعمل على خطة جديدة.
سخرت من نفسها عندما تصورت للحظة أنها لو لم تكن تحمل (زياد)، لربما ظنها متوفرة مرة أخرى للعبته الجديدة. وبمرارة شديدة اعترفت أن مهمته هذه المرة ستكون أسهل بكثير من المرة الأولى،ووحدها وسادتها استمعت لحديث شجونها وشكواها هذه الليلة أيضاً..

*****

(٢٥)

بعد مرور شهر أو أكثر..
كان الاحتفال الكبير بزفاف (مهاب) وعروسه (عايدة). ورغم سعادتها أنه وجد الفتاة التي تقدره فعلاً وتكن له مشاعر الحب الصادقة، ازدادت قسوة شعورها بالوحدة واغرورقت عيناها بالدموع خاصة بعد أن علت الزغاريد وسمعت صوت المأذون يبارك لهما في زواجهما ويخلفهما بالذرية الصالحة..
ثم رأت العروسين وكل منهما غارق في عيني الآخر وكأنه قارب النجاة الوحيد له في بحر متلاطم الأمواج..
:-"(جيدا).. هل أنتِ بخير؟"
أجلت صوتها المختنق بالدموع وهي تمسح دموعها خلسة:-"بالطبع أنا بخير...ألا تذكرين يوم بكيت في زفافك وظن المدعوون أنني مغرمة ب(رؤوف)؟"
:-"آه.. ولكنني ظننت أنكِ بعد زواجك من (فارس) تغيرتِ، وأصبحت حفلات الزفاف لا تسبب لكِ كل هذا الحزن.. أوووه... يا لي من غبية.. لقد ذكرتك مرة أخرى.. سامحيني".
:-"هوني على نفسك يا (ليان) .. أنا لم أنسَ قط، خاصة عندما أرى عروسين مغرمين".
:-"من يدري.. ربما فارس خيالك ما يزال يبحث عنكِ".
تنهدت بأسى موجوع:-"أي فارس يا (ليان) ؟! لقد عرفت كل شيء.. الحب أضحوكة كبيرة نسخر بها من أنفسنا لبعض الوقت، بعدها نواجه الواقع بكل خشونته وقسوته".
بأنين مكتوم صاحت (ليان):- أرجوكِ يا (جيدا)..لا تكوني يائسة لهذا الحد. بقدر ما كنت أسخر منكِ عندما كنتِ تحلمين بفارسك المنتظر، لكنني كنت أشعر بوجود شيء جميل، قد لا أراه مثلك ولكنكِ كنتِ تصفينه بإيمان حقيقي أصابني بعدوى السعادة".
:-" (ليان) .. (رؤوف) يشير إليكِ.. يبدو أن (سمر) تبكي".

:ـ"سأذهب إليه، ولكن المناقشة لم تنته بعد".
غمغمت بعد ذهاب صديقتها:ـ"بلى.. لقد انتهت، وانتهى كل شيء، فلا أحلام ولا ذكريات، حتى ليلة زفافي التي تتذكرها كل امرأة بتنهيدة وابتسامة، أذكرها أنا بمرارة وألم ودموع".
أهداها العريس ابتسامة من بعيد وهو يلوح لها قبل أن يحمل عروسه وينطلقان في موكب مزين من السيارات...
:ـ"(جيدا).. هل ستأتين معنا؟ أم لديكِ خطط أخرى؟"
ردت بتنهيدة عميقة:ـ" أي خطط أخرى يا (ليان) ؟هل تنويان طردي؟ هذا خطأي لأنني لم آت بسيارتي لأضطر لاحتمال ثقلاء الظل أمثالكما".
داعبتها (ليان) بغمزة:ـ" أتعنين أن هذا الوسيم الطويل الذي يكاد يلتهمك بعينيه من أول الحفلة لم تشعري به ولو من بعيد".
تلفتت حولها بتساؤل:ـ" من تقصدين؟"
تبادل الزوجان النظرات الساخرة فتنهدت بضيق:ـ" لم لا تبحثان عن تسلية أخرى سواي اليوم؟"
غمغمت (ليان) بسرعة وهي تلكزها في خصرها:ـ" اخرسي.. ها هو قادم نحونا.. تظاهري أنكِ لا تلاحظيه".
ظنت (جيدا) أن صديقتها قد جنت فتسمرت عيناها عليها تحاول معرفة سبب تصرفاتها البلهاء حتى سمعت صوتاً خلفها:ـ"هل تسمحين لي يا آنسة؟"
التفتت بعينين متسعتين من الدهشة:ـ"عفواً".
:ـ"يسرني التعرف عليكِ..اسمي (أكرم سليم)".
عندما ظلت (جيدا) مسمرة مكانها مأخوذة لحضور الرجل السارق للأنفاس- خاصة وهو يجتهد بتركيز كل جاذبيته المرعبة نحوها- مد (رؤوف) يده ليد الرجل الممدودة يصافحها بحرارة:ـ"أهلاً بك سيد (أكرم)..أنا (رؤوف)، وهذه زوجتي (ليان) ..وهذه الـ.. صامتة صديقتنا المقربة..(جيدا)..سررنا

بالتعرف إليك".
تخضبت وجنتاها بالحمرة ونظرات الإعجاب التي يسلطها نحوها تكاد تخترق كل دفاعاتها..
:-" أنتِ الآنسة (جيدا) معلمة المدرسة؟ لقد حكي لي أولاد أختي عنكِ الكثير حتى تمنيت لقائك..أعتقد أنك تدرسينهم الشعر والأدب..هما (على) و(علياء فاروق)"
ردت أخيراً بعد أن شعرت بالإحراج أن يظنها السيد (أكرم) بكماء:-" آه.. تذكرتهما... الطفلان شعلة ذكاء متقدة".
وبطريقة مباشرة فاجأها (أكرم):-" هل تسمحين لي بدعوتك على العشاء غداً في مكان هادئ؟"
رفضت بأدب:-" أنا لا...".
لكزتها (ليان) مكملة عنها:-" بالطبع يا سيد (أكرم).. (جيدا) يسرها قبول دعوتك، ولكنها مرتبكة فقد فاجأتها..."
احتجت (جيدا):-" (ليان) .. أنا مشغولة كما تعرفين فـ....".
قاطعتها (ليان):-" آه..عزيزتي.. تقصدين اجتماع مجلس الآباء؟ أعتقد أن السيد (أكرم) سيمر عليكِ على نحو الساعة السابعة بعد انتهاء الاجتماع..أليس كذلك؟"
رد دون أن يحيد بعينيه عن (جيدا):-"آه..بالطبع.. سأكون أمام بيتك قبل الموعد، أعد النجوم بانتظارك".
وقبل أن تنطق بالرفض أو الاحتجاج مرة أخرى جذبتها (ليان) من ذراعها مودعة الرجل المصدوم في مكانه...
وأخيراً انفجرت عندما استقروا جميعاً في سيارة (رؤوف):-"حسناً.. (ليان) ..بإمكانك أنتِ الذهاب لهذا الموعد، بما أنكِ أنتِ التي وافقت، وعليك يا سيد (رؤوف) أن تحتمل، لأن هذه التي لا تطاق زوجتك وعليك احتمال كل تصرفاتها الخرقاء".
عم الصمت السيارة لا يقطعه إلا لهاث (جيدا) المنفعلة وبعد

لحظات ردت (ليان):-" هل هدأتِ؟"
عادت تصيح:-" لا.. لن أهدأ قبل أن تبرري لي سبب توريطي بهذا الشكل، وكأنني طفلة صغيرة بحاجة لمن يرتب لها مواعيدها الغرامية".
:-"(جيدا)..أجيبيني بصراحة..هل تنتظرين عودة (فارس)؟"
تلعثمت (جيدا) وشحب وجهها ثم هزت رأيها بالنفي المؤكد:-"لا.. بالطبع لا."
:-"إذاً.. هل ستتزوجين يوماً؟"
صاحت باندفاع:-" بالطبع سأتزوج.. هل ظننتني سأتحول لناسكة؟"
تنهدت (ليان) براحة عندما وصلت لبيت القصيد:-" وكيف تتزوجين أيتها العزيزة وأنت ترفضين كل دعوة من معجب، وكل رجل يتقرب منك ليخطب ودك؟"
ردت بارتباك:-" ولكني.. لا.... لا أرفض كل دعوة.. وهذا الرجل لم يرق لي".
:-"وكذلك الرجل الذي قبله، والذي قبله..(جيدا) أنتِ لا تعطين نفسك فرصة..أرجوكِ اقبلي هذه الدعوة فقط، وانظري لما ستأتي به الأقدار.. ليس الأمر وكأنني أجبرك على الزواج منه".
زفرت (جيدا) بقوة:-" حسناً.. سأفعل.. ولكن لأثبت لكِ فقط أنني على حق".
ولكنها لم تثبت إلا العكس..عندما أثبت (أكرم) أنه رجل لا يمكن رفضه أبداً..وأن كل امرأة بصحبته هي ملكة متوجة على عرش قلبه. فالدعوة الأولى تلتها الكثير من الدعوات، بعدما أحبت نفسها بصحبته، لأنها بحضوره تنسي كل شيء. فهو محدث لبق، ومستمع رائع، ومعجب مفتون..
:-"هل تتحدثان عني؟"
شهقت (ليان) و(جيدا) عندما خرج (أكرم) من خلف الستار..

عاتبته (جيدا):-" عزيزي.. أنت تعرف ما يقال عن المتصنتين.. لا يسمعون ما يروق لهم".
حاول لف ذراعيه حول خصرها ولكنها تملصت بنظرة حادة مهددة فرفع يديه باستسلام قائلاً:-" ولكني لم أسمع كل شيء، لذلك هذا المثل لا ينطبق علي".
تمتمت (ليان):-" لم تركت (رؤوف) وجئت خلفنا إذاً؟؟"
:-"طعامك الرائع بحاجة لكوب من الماء المثلج لهضمه، فجئت أبحث وأقدم شكري لسيدة البيت على هذه المأدبة الفاخرة".
:-" أووووف.. وأنا التي ظننتك تبحث عن (جيدا)..على كل حال سأترككما تبحثان عن الماء المثلج سوياً، وسألحق بزوجي".
بعد ذهابها التفتت له (جيدا) بعتاب:-"والآن.. ماذا ستظن (ليان) بنا؟"
اقترب منها حتى شعرت وكأن شفتيه تلمسان خصلات شعرها المتموجة:-"ستظن أننا نتبادل حديث العشاق".
ابتعدت عنه مرتبكة:-"(أكرم).. لا".
:-"ماذا بكِ حبيبتي؟ كلما اقتربت منكِ تبتعدين".
:-"لا.. أنا لا أبتعد."
هز رأسه ووضع يديه في جيبي بنطاله قائلاً بتفهم:-"يوجد رجل بيننا..أليس كذلك؟ وهو زوجك السابق".
:-"(أكرم)..لا تفهمني خطأ...(فارس) مرحلة وانتهت من حياتي".
بابتسامة متوترة كان رده:-" سأدعي أنني أصدق، لأنني حقاً أرغب أن يجمعنا مستقبل واحد يا (جيدا)..ولن أضغط عليكِ..هيا بنا..وإلا ظن صديقانا العزيزان أننا تجاوزنا حديث العشاق".
أمسك يدها، ترددت قبل أن تضع يدها بين أصابعه متنهدة ببطء. رفعت عينيها إليه تتطلع لملامحه الوسيمة ثم أومأت تحدث نفسها:-"سأحبه كما أحببت (فارس) من قبل..لا شيء

سـيمنعني.. سـأحبه وسـأتزوجه وأنجـب منــه أطفـالي الكثيـرون ليملئون ردهات القصر و....."
وفجأة انقطع حبل أحلامها لتجد أمامها الرجل الخطأ...
ربت على يدها بتشجيع:-" هيـا بنـا عنـدي مفاجـأة سـأعلنـها علـى الجميع".

*****

(٢٦)

وكأنها عروس خشبية "ماريونت" تؤدي دورها على المسرح.. ولكن مسرحها كان حياتها التي حولتها بيديها لمسرحية هزلية، تؤدي فيها مجرد دور لا تشعر أو تتفاعل معه.. مجرد دور واجب عليها تأديته حتى ترضي باقي الشخصيات في المسرحية.

كان هذا هو إحساسها تماماً و(أكرم) يقف في بيت أصدقائها (رؤوف) و (ليان) ويشرح لهما مفاجأته:ـ" أنا أدعوكم جميعاً لحضور حفل خيري لمساعدة الأطفال الأيتام المعاقين.. بما أنني رئيس الجمعية فيسعدني أن تكونوا ضيوفي.. ما رأيك يا (جيدا)؟"

:ـ"هل تحدثني؟آه..الحفل يبدو رائعاً، ولكن للأسف أنا لا أملك الثوب المناسب لحضور حفل كهذا".

ضم (أكرم) كتفيها بذراعه بقوة ضاحكاً:ـ" هل تذكرين الثوب الأزرق الذي أعجبك في واجهة المحل، وأنا أخبرتك أن لونه يماثل زرقة عينيك؟ لقد اشتريته لك وسيصل غداً".

اتسعت حدقتاها بدهشة:ـ"ولكن (أكرم)... أنا لم أقل إنني معجبة به لدرجة أن أرتديه.. نعم هو رائع ولكن.. ليس لي. أنا لم أعتد ارتداء مثل هذه الملابس غير اللائقة، هو يصلح لعارضات الأزياء أكثر".

نهرتها (ليان):ـ" (جيدا).. ولكنك تملكين قوام عارضات الأزياء، أنا واثقة أنه سيكون رائعاً عليكِ".

تجاهلتها (جيدا) متعمدة وهي تلتفت لـ(أكرم) بزفرة حانقة:ـ"هل دفعت ثمنه فعلاً؟"

غمغم (أكرم) بإقرار:ـ" لقد دفعت ثمنه فعلاً يا حبيبتي، وهذا المتجر لا يسترد بضائعه المباعة، وإن لم توافقي على ارتدائه سألقي به في القمامة.. لا تستحق امرأة سواكِ ارتدائه".

جذبتها (ليان) من يدها لأسفل محذرة بغمزة من

عينيها:-"(جيدا) لن ترد هديتك بالطبع يا (أكرم).. أليس كذلك يا حبيبتي؟ انظري للمسكين يكاد يتوسل".
كتمت (جيدا) غضبها ورسمت ابتسامة مغتصبة وهزت رأسها بدون اقتناع، فهلل (أكرم) بسعادة:-" رائع..أنتِ فتاتي الحبيبة.. سأترككم الآن فقد تأخرت بالفعل عن موعد هام جداً.. حبيبتي..هل ستأتين معي أوصلك في طريقي؟"
:-"شكراً (أكرم)..سأبقى مع (ليان) أساعدها في غسل الأطباق ثم سيوصلني (رؤوف) لو تأخر بي الوقت".
عندما كادت (ليان) تقوم بدورها المعتاد للاعتراض لكزتها (جيدا) بقوة لدرجة أنها صرخت متألمة، واغتصبت ابتسامة لنظرة (أكرم) المتسائلة:-" لا شيء.. لا تهتم.. تفضل أنت الحق بموعدك ولا تقلق على (جيدا)".
بعد خروجه التفتت (جيدا) لصديقتها التي تساءلت بخوف:-"لماذا تنظرين لي بهذا الشكل؟ أُقسم أنني لم أفعل شيئاً هذه المرة، لقد كنتِ موافقة على حضور الحفل".
في شبه صراخ ردت (جيدا):-" نعم الحفل.. وليس الثوب يا (ليان)".
هزت كتفيها بتعجب:-"ولكنه مجرد ثوب يا (جيدا)..ما المشكلة؟"
عقدت (جيدا) ذراعيها على صدرها:-" بالطبع تعرفين الممثلة المشهورة الراحلة مارلين مونرو".
:-"آه بالطبع.. إنها تلك الممثلة التي..أوووه..يا إلهي!"
هزت (جيدا) رأسها موافقة:-" نعم.. هذا الثوب يشبه كثيراً ما ترتديه مارلين في أفلامها المشهورة بالإغراء..هل رأيتِ ما أورطتني فيه هذه المرة يا (ليان)؟"
هللت (ليان) بعد طول وجوم وتفكير:-" سنجد حلاً يرضي جميع الأطراف.. ثقي بي".

(٢٧)

حتى دخولهم قاعة الحفل لم تنفك (جيدا) ترمق صديقتها باتهام لتزيد من شعورها بالذنب في كل لحظة وقد صممت ألا تهنأ بأي لحظة استمتاع في الحفل مثلها تماماً.

كان الثوب بالفعل جريئاً جداً، بفتحة الصدر الكبيرة وحمالاته الرفيعة والتي تكاد تسقط مع كل حركة، رغم وجود الشال الذي اقترحته (ليان) والذي أثبت عدم جدواه، مما أثار غيظ (جيدا) أكثر وأكثر، خاصة والثوب ينسدل محدداً تفاصيل قوامها للكعبين، ولتسهيل الحركة كانت الفتحتان على الجانبين.. كرهت كونها ملفتة للنظر أينما توجهت تستدير أعناق الرجال خلفها، بالتالي اكتسبت عداء كل النساء في المكان مما ذكرها بالماضي..

لم يتأثر (أكرم) بكل هذا بل ازداد فخراً وهو يحيط خصرها بذراعه محدداً ملكيتها لنفسه بين الحضور:-" ألم أقل لكِ إنك ستكونين رائعة".

ردت حانقة:-" ولكنني أختلف معك...لا أحب نفسي بهذا الشكل... ليس تماماً فأنا لا أحب كوني محط الأنظار".

:-" كفي عن التواضع..أي امرأة في هذا الحفل على استعداد لتدفع ثروة مقابل أن تكون في مكانك ولو لساعة واحدة..هيا لنرقص".

تبعته وهي تدعو أن تنتهي هذه الليلة سريعاً قبل أن تضطر لقتل (ليان) ..أو نفسها.

شعر (أكرم) بتوترها وبأعصابها المتصلبة بين ذراعيه فضمها لصدره أكثر يمسد ظهرها بحنان ليبدد انفعالاتها. وضعت رأسها على كتفه لتسترخي مستمتعة بحمايته ولتفعل ذلك تخيلته رجلاً آخر، ولكنه لم يكن هو...

فتحت عينيها المغمضتين فجأة بإحساس غريب، لتجد من تفكر

فيه أمامها يراقبها من بعيد وهو يرشف كأس عصيره ببطء.. لم تستطع قراءة ملامحه من هذا البعد.
:-"(جيدا)..ماذا بكِ؟ عاد جسدك كعود الخيزران المتصلب".
:-"آسفة يا (أكرم).. ولكنني بحاجة لكوب من العصير البارد.. حلقي جاف".
:-"انتظريني..وسآتِ به فوراً".
أطاعته حتى اختفى بين الضيوف، وأسرعت تبحث عن (ليان) و(رؤوف). تشعر باختناق رهيب وتصر على العودة، ولكنها لم تجدهم بين الزحام..
عاد (أكرم) يحمل كأسين بيد واحدة:-" حبيبتي.. أين كنتِ؟ تفضلي عصيرك البارد".
راقبها تشرب كأسها بسرعة وبدون أي حذر فسألها:-"حبيبتي..هل أنتِ على ما يرام؟"
:-"(أكرم) كُف عن هذا السؤال الذي تطرحه كل عشر دقائق.. هل أُقسم لك أنني بخير؟"
ومن فوق أكتاف رفيقها رأته مرة أخرى يراقص امرأة تكاد تذوب على حرارة أحضانه والتي ما زالت تختزن ذكراهم حتى اللحظة.
شعرت بغيرة مُرة سممت أفكارها. وضعت يدها على قلبها وكأنها تودع آخر خفقاته، ألم حارق امتد حتى أطرافها والحاجة لحماية النفس تزايدت سريعاً. التفت (أكرم) تتمنى لو لا يلاحظ ما اعتراها من تغيير:-" (أكرم).. أكاد أختنق.. هل توجد شرفة هنا لأتنسم بعض الهواء النقي؟"
تحسن مزاج (أكرم) وأصبحت نظراته الداكنة أكثر دفئاً ورقة وشيئاً آخر لم تلحظه في خضم أحاسيسها المحتضرة:-" آه.. بالطبع حبيبتي.. من هنا.. تفضلي".

شهقت بعمق تملأ رئتيها بعبير الهواء المعطر برائحة الحشائش المنداة، وأغمضت عينيها حتى تريح عقلها من ذكرى من سلب قلبها ولم تستعده حتى الآن. ولكن عادت ذكرياته ولحظاته معها لتقتحم عقلها فتسترجع تلك الأيام مرة أخرى وترتسم على ملامحها الفاتنة ابتسامة هادئة وشفافة. لم تسمع خطواته يتسلل من خلفها. تحركت يداه بنعومة لتحيط بها من الخلف، سكنت بين ذراعيه وكأن حلمها غادر خيالها حياً ليضمها إليه، ولكن أنفاسه التي لسعت جيدها جعلتها تفيق من حلمها اللذيذ. توترت بين ذراعيه فزاد من حدته وهو يبعد شالها عن كتفيها محاولاً فرض رغباته الغاشمة.

عندها صرخت بيأس:-" (أكرم).. لا تكن متهوراً.. توقف".

ابتعد عنها لاهثاً:-" ماذا بكِ؟ كنا في خير حال وقد بدأت تستجيبين".

صرخت بأنين:-" لا لم نكن أبداً في خير حال".

جالت عيناه على جسدها في التماع مخيف:-" نعم.. ربما أنتِ على حق.. المكان غير مناسب..اسمعي.. أمتلك شقة بالقرب من هنا..نستطيع أن..."

ولم يكمل عرضه المخزي عندما أوقفته صفعتها التي دوى رنينها على وجهه في صمت الليل.

هجم عليها متوعداً:-"هل تظنين نفسك امرأة عن حق.. لقد تحملت برودك فوق طاقتي، وكأنك كنت متزوجة من لوح من الثلج".

تراجعت مرعوبة عندما فوجئت بذلك الصوت الحبيب ينزل كالبرد على قلبها المشتعل:-" هل يضايقك هذا الرجل يا (جيدا)؟"

التفت (أكرم) نحوه متبجحاً:-"ومن أنت؟ ومن سمح لك باقتحام خلوتنا؟"

لم يعره (فارس) أي اهتمام متابعاً حديثه معها:-" إذا طلبت مني الذهاب سأذهب.. (جيدا)؟"
هدده (أكرم) بقبضته هادراً بغضب:-" قلت لك.. لا شأن لك بنا، وإن لم تغرب عن وجهي حطمت وجهك بقبضتي".
وأخيراً أعاره (فارس) نظرة جانبية محتقرة:-" الرأي للسيدة.. لو طلبت مني عدم التدخل، رحلت.. بهذه البساطة".
التفت لها (أكرم) قائلاً بملل:-" (جيدا)..أخبري ذلك الفارس ألا يتدخل فيما لا يعنيه".
فجأة لم يعد هناك ارتباك أو تردد بل نور ساطع بهر عينيها من وضوحه فرفعت رأسها لتواجه (أكرم) بثقة:-" السيد (أكرم) أثقل في الشراب على ما يبدو.. أكون شاكرة لو أرشدته لطريق الخروج من هنا".
شهق (أكرم) بغضب:-" (جيدا).. هل أنتِ واعية؟"
جذبه (فارس) من ذراعه بغل:-" سمعت السيدة.. تفضل وإلا أرسلت لك من يبعثر تسريحة شعرك الثمينة".
رفع (أكرم) يديه لأعلى مبعداً نفسه ثم رمق كلاهما باحتقار وذهب تتبعه رياحه العاصفة...
وقف (فارس) لحظات يحدق فيها بملامح غاضبة..ثم هز كتفيه مقترباً منها..
:-" أعتذر.. عليكِ أن تتحملي وجودي غير المرغوب فيه على ما يبدو بضعة دقائق أخري، حتى يفقد عاشقك الولهان أمله فيك.. كنت سأذهب وأنادي (مهاب) ولكن أخشي أن يعود لمضايقتك..(جيدا).. هل أنتِ بخير؟"
رفعت حمالاتها المتهدلة محيطة كتفيها بيديها باحثة عن الدفء متمتمة بكلمات شبه باكية:-" سأكون بخير بعد لحظات.. تستطيع العودة للحفلة لن يجرؤ (أكرم) على فرض نفسه مرة أخرى".
لاحظ ارتعاشها الواضح من البرد فخلع سترته وناولها لها

بصمت. ترددت لحظات ورفعت عيناها لتفاجأ بحواجبه المرفوعة فتمتمت شاكرة:ـ" شكراً لك".
تنهد بزفرة طويلة:ـ" تبدين مختلفة.. لم أتوقع أن أراكِ يوماً ترتدين مثل هذا الثوب.. هل غيرك (مهاب) لهذه الدرجة؟"
خرجت الكذبة بسهولة من فمها لتحاول تقصير هذا اللقاء الموجع:ـ"آه .. نعم إنه يحب هذه النوعية من الملابس".
:ـ"هذا غريب".
ردت بحدة مدافعة عن زوجها الوهمي:ـ" وما الغريب في أن يرغب زوجي أن يراني جميلة؟"
:ـ"الغريب هو أن يرغب برؤيتك جميلة في عيون الرجال، حتى يتجرأ كلب كهذا لينهشك بدون رادع.. أين ذلك الهمام ليدافع عنكِ؟ سأذهب وأجره من رأسه.. ذلك الوغد يستحق أن يتذوق قبضتي على فكه".
راقبته يغادر الشرفة بينما وقفت مكانها تحاول تبرير تصرفه..
شعرت بكره كبير له لأنه صدقها... بقدر ما أحبته من أول لحظة بقدر ما تشعر برغبة شديدة لقتله والابتعاد عن كل المشاعر التي تؤلمها.. كانت مجنونة لأنها اعتقدت نفسها قادرة على إتمام هذه التمثيلية..لابد أن تهرب..عندما يعود إليها بعد أن يعرف أن لا وجود ل(مهاب) سيكون عليها إخباره الحقيقة وبعدها لن تستطيع مواجهته...
تركت سترته على سور الشرفة والتقطت شالها من على الأرض وركضت مسرعة على درج الشرفة الجانبي..

*****

(٢٨)

ظلت تركض بلا هوادة بين أشجار الحديقة..حتى وصلت للطريق حيث تصطف سيارات المدعوين..

بحثت عن سيارة (رؤوف) حتى وجدتها وظلت تحاول بيأس فتح أبوابها لعله قد نسي إغلاق أحدهم كالعادة.. ولكن يبدو أن حظها تخلى عنها اليوم..

ازداد شعورها بالبرد يتخلل ثوبها السخيف وهي تستند على سقف السيارة بجبهتها متمنية لو يمل (رؤوف) و (ليان) من الحفلة بسرعة.. حتى جوالها نسيته.. كان بإمكانه إنقاذها من هذه الورطة، ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.

اقشعر جسدها ولكن ليس من البرد هذه المرة، وهي تسمع:ـ"أنتِ حقاً صيد سهل اليوم لأي ذئب أو كلب مسعور يبحث عن طريدة مناسبة".

حاولت التماسك وهي تلتفت له لتواجه غضباً لم تر مثيله من قبل بعينيه اللتين تطلقان شراراً، لو كانت ناراً لأحرقتها حية في مكانها. امتدت يداه كمقبضين من الفولاذ على ذراعيها يكاد يقطع سريان الدم عنهما وهو يهزها هزات عنيفة مستجوباً إياها بعنف ورأسها يترنح من شدته:ـ" أجيبيني يا (جيدا).. ما الذي تفعلينه هنا في هذا المكان؟ هل تنتظرين (أكرم)؟هل تراجعتِ وفكرتِ أن عرضه غير قابل للرفض ووافقتِ على الذهاب معه لشقته؟ تحدثي".

حاولت جذب ذراعيها من يديه:ـ" اترك ذراعي إنك تؤلمني".

تدارك نفسه عندما صدمه برودة ذراعيها:ـ" يا إلهي! إنكِ تتجمدين.. بالطبع لا عجب وذلك الثوب اللعين لا يكاد يغطي شيئاً.. أين تركتِ سترتي؟ ألم تكن معكِ؟ يا إلهي ألن تكفي عن التصرف بغباء؟"

صرخت شاهقة:ـ" (فارس أصلان).. ما أرتديه، أو لا أرتديه حق

خاص بي وحدي، ولا تقلق على سترتك الغالية.. إنها هناك على الشرفة.. اذهب إليها.. وأعفني من محاضراتك.. فلا سُلطة لك عليّ".
غمغم باستفزاز:-" سوف نرى أيتها السيدة.. ولكن أولاً تفضلي معي، سيارتي هناك".
نفضت ذراعيها أخيراً عندما خفف قبضته:-" لا شأن لك بي.. لم لا تتركني لحالي؟"
تنهد بصعوبة حانقاً:-" يعلم الله كم حاولت تركك لحالك، ولكنكِ..أنتِ..أنتِ يا (جيدا) لا تتركيني في حالي أبداً".
تساءلت بدهشة:-" أنا؟! ولكنني لم..."
:-" (جيدا).. دعينا نكمل نقاشنا داخل سيارتي قبل أن تتجمدي برداً.. هل أنتِ خائفة مني؟"
ردت مدافعة:-" ولم أخافك؟ أنت لم ولن تكون مصدر تهديد لي أبداً.. ولكن لا يوجد بيننا أي أمور للنقاش".
حذرها ملوحاً بإصبعه بلهجة لا تقبل النقاش:-" اسمعي أيتها السيدة.. إما أن تسيري معي برضاك، أو محمولة على كتفي.. الأمر سيان بالنسبة لي، طالما أن النتيجة ستكون في النهاية كما أريد..فاختاري".
حاولت المراوغة ولكنها أدركت من التصميم البادي على ملامحه أنه لن يتنازل. رفعت رأسها بكبرياء وسارت إلى حيث أشار.. دخلت سيارته وأشعل جهاز التدفئة، وبعد دقائق بدأ الشعور بالدفء يسري في جسدها، فاسترخت ثم تذكرت أين هي ومن معها فانتفضت مرة أخرى:-" والآن.. أنا داخل سيارتك، وزوجي الله أعلم به يبحث عني في كل مكان الآن".
فاجأها بسؤال أوقف سريان الدم في شرايينها:-"(جيدا).. كيف حال طفلك الصغير؟"
سألته بدهشة:-" طفلي؟! أي طفل؟"

واستدركت نفسها بسرعة عندما تذكرت لقائهما في حفل البلدة:-"آه.. تقصد (زياد).. إنه بخير".
صدمها بسؤال سريع آخر:-" هل أنتِ سعيدة مع (مهاب)؟"
عضت على شفتها، فهذه الكذبة بالذات تؤلمها كثيراً:-" آه.. بالطبع.. (مهاب) رجل حنون ومجنون بي".
:-"كل من يعرفك لابد أن يجن بك يا (جيدا)".
التفتت بحدة صائحة بحواجب مرفوعة:-" ليس كلهم يا سيد (فارس).. أعرف واحداً بالذات لم...."
ولم تستطع تكملة جملتها عندما خنقتها العبرات...
تنهد قائلاً:-" كان بإمكاننا التعايش مع بعضنا.. ولكنك رفضت".
ردت بحدة:-"بالطبع.. وسأظل أرفض للأبد".
بعد تنهيدة طويلة:-"ولكنك لا تحبين (مهاب).. ومن الواضح أنه لا يحبك كما تدعين".
أصرت على كذبتها:" أخبرتك أنه مجنون بي.. طوال عمره وهو مغرم بي".
:-"إذاً.. فسري لي هذا اللغز.. كيف لرجل مجنون بحب زوجته أن يتركها تصاحب رجالاً غيره؟! رجال غير مأمونين، ويسمح لها بارتداء هذه الملابس الرخيصة التي تكشف أكثر مما تخفي؟"
لوحت قبضتها بوجهه قائلة بصوت مخنوق:-"لا شأن لك بي".
رد ساخراً:-"لقد سمعت هذا من قبل..أعلم.. المفروض ألا أتدخل بشئونك..أنا حقاً آسف لتدخلي في ذلك الوضع العاطفي على الشرفة.. وأعتقد أنكِ آسفة أيضاً".
هدأ كلاهما لحظات ليعم الصمت أجواء السيارة.. ثم عاد يتكلم مجدداً:-"(جيدا).. لم أجد اسم (مهاب) بين قائمة المدعوين.. رأيت اسم (رؤوف) و (ليان) وأنتِ وذلك الـ... (أكرم).. ولكن اسم (مهاب) لم يكن موجوداً.. هل لديكِ تفسير؟"

ردت محتدة محدقة بالفراغ أمامها:-" هذا لأنه غير موجود".
رد ساخراً:ـــ"أين إذاً؟! فـــي المنـــزل يعتنـــي بالطفـــل ويبـــدل حفاضاته؟"
كانت على حافة الانهيار وهي ترد بدون وعي:-" لا.. بل مع عروسه يقضيان شهر العسل".

لوقت طويل أخذ يحدق بها.. تارة بدهشة.. وتارة بغضب.
بخشونة أدار المفتاح في المحرك ليصدر الموتور تلك الحشرجة المزعجة ثم يصمت..حاول مرة بعد مرة ومن شدة عصبيته لم تستجب له السيارة.
أغمض عينيه وراح يدمدم بسباب لم تفهمه ثم أخذ نفساً عميقاً وأدار المفتاح مرة أخرى ليزأر الموتور أخيراً وتنطلق السيارة بسرعة جعلت الإطارات تطلق صريراً مزعجاً على الأسفلت من شدة احتكاكها به.
:-"إلى أين؟"
كان سؤالها هسيساً تجاهله متعمداً، ولم تعده حتى عرفت معالم الطريق التي تؤدي لقصرها.
نزل أمام البوابة ليفتحها ثم عاد ليقود السيارة للداخل...

ترجلت متوترة ووقفت بانتظاره حتى خرج من السيارة. من منظره المرعب رغبت في الفرار، ولم تكد تبلغ غرفتها حتى شعرت به في أعقابها.. جذبها بقوة ودفعها على الأريكة، فانساب شعرها من عقدته وتأرجح حول وجهها بحركة إغراء غير مقصودة. اخترقت رائحة شعرها أنفه فأخذ نفساً عميقاً محاولاً الخروج من تأثيرها المخدر لحواسه، وبدأ بالضغط على نواجذه:-" والآن.. هلا تكرمتِ وأخبرتني بالتفاصيل".

تأملته بمزيج من الحنق والازدراء:ـ" بأي حق تطالبني بتفاصيل حياتي، التي لم ولن تكون جزءاً منها؟"
تنهد بعمق مطرقاً باعتراف أوقف الأنفاس في صدرها فلم تدخل أو تخرج:ـ" لأنني.. أحبك.. أحبك.. نعم أحبك يا (جيدا)".
هزت رأسها غير مصدقة، وبابتسامة شاحبة اعترضت بقوة:ـ"لا.. أنت لا تحبني..لم تحبني يوماً..إنها خدعة جديدة لتحصل على القصر..ألا تسأم من إعادة نفسك"؟
ركع أمامها أرضاً قائلاً بصوت مهزوم:ـ" أنت لا تصدقيني، وهذا أحد أسباب ابتعادي عنكِ.. كنت واثقاً أنك لن تصدقيني.. لم لا تسأليني عن السبب الآخر؟"
نهضت من مكانها شامخة بأنفها تغالب دموعها الغبية:ـ"لا تهمني معرفته".
أمسك يدها بقوة متوسلاً بطريقة لم ترها من (فارس أصلان) من قبل:ـ" بل يجب أن تسأليني.. أرجوكِ يا (جيدا)".
زفرت جزءً من الهواء بصدرها تسأله باختناق، فقد كانت على وشك أن تكره نفسها أكثر وأكثر، لأنها ستستسلم لمشاعرها وتهوى في هواه مرة أخرى:ـ" حسناً.. ما هو السبب الآخر؟"
:ـ "في تلك الليلة.. عندما استلقيت بجواري بعد حفلة عيد الميلاد انتابني الفضول لمعرفتك.. عندها...".
صاحت باتهام:ـ" نزعت عني قبعتي".
:ـ"نعم (جيدا)..لا تصوري الأمر وكأني تعمدت التصرف بخسة".
صاحت بنبرة ساخرة:ـ" وفجأة.. أحسست بحبي يغزو قلبك!"
:ـ"على العكس..غضبت منكِ ومن نفسي وكرهتك، ولم أرغب بأي شيء وقتها قدر رغبتي بالاقتصاص منكِ لأنك صنعت مني أحمقاً.. ثم ابتعدت عنك. ولكن في الحفل أدركت أمراً آخر.. أدركت أنني لن أستطيع الهروب من حبك، ولن أستطيع مغالطة

نفسي مرة أخرى بشأنك كما فعلت من يوم عرفتك. ولكنني أخرجتك من قوقعتك، ولم يعجبني ما فعلت. لن تصدقي كم من مرة تمنيت لو دخلت البيت وعدت بملابسك الفضفاضة وقبعتك لأعيدها عليكِ مرة أخرى كي لا ينظر لكِ أي رجل آخر تلك النظرة الذئبية الراغبة بجسدك".

تمتمت بخفوت:-" ولماذا لم تفعل؟"

رفع أكتافه وقلب شفتيه:-" لم أستطع مواجهتك بعد أن كنت أحاول إقناعك بتغيير طريقتك في الحياة. شعرت وكأن أنانيتي ستحرمك من سعادتك. ورأيت (مهاب) ينظر لكِ تلك النظرة، ففضلت أن..."

أكملت عنه غير مصدقة:-" تتركني له؟! بغض النظر عما أريده أنا؟ ألم تر في عيني نظرة غريبة لتعرف أنني لم أفكر بأي رجل آخر سـ..".

توقفت فجأة عن الاسترسال لتتدارك زلة لسانها فسألها بإلحاح:-" سوى من يا (جيدا)؟ سواي.. أليس كذلك؟ ما زلتِ تحبينني، ولم تتوقفي يوماً عن حبي..(جيدا)..أرجوكِ.. صارحيني".

صاحت باندفاع وكأنها تطلق ماردها الحبيس من قمقم صدرها أخيراً بعد طول أسر وعذاب:-" ماذا تريد أن تعرف يا (فارس)؟ أن تعرف إن كنت أحببتك؟ الإجابة نعم. إن كنت ما زلت أحبك؟ نعم.. ولكنني لا أستطيع المضي مرة أخرى في الإحساس بحبك وبناء الآمال والحلم من جديد.. أنا آسفة يا (فارس)..لا أستطيع...".

صرح بتأثر:-" لأنني خدعتك مرة..أنا فعلاً نادم على حمقي وليس بيدي أي دليل لإقناعك. عليكِ أن تثقي بي..(جيدا)..أنا أحبك أنتِ، وأكره أي رجل ينظر إليكِ. وأكرهك لارتدائك هذا الثوب السخيف. (جيدا)..أنا لا أريد أن أكون جزءً من حياتك، بل

أريد أن أكون حياتك كلها، وأريد أطفالاً كثيرين.. ستة أو سبعة ليملئوا ردهات القصر بصخبهم وضجيجهم، ضحكاتهم وبكائهم.. وأريدك أنتِ حبيبتي، صديقتي، وحبيبتي..وعشيقتي".
سألته بعينين مغرورقتين بالدموع:-"أحقاً يا (فارس)؟"
أومأ بهزة خفيفة من رأسه وكأنه يخشى أن تغيب عن عينيه لحظة فتابعت:-"كنت أعلم أنك حقيقة.. كل أحلامي لم تكن وهماً أبداً.. أنت غيمتي الوردية يا (فارس).. سأعلّم أولادنا أن يتمسكوا بأحلامهم حتى لو كانت بنظر الناس أوهاماً تسبح على غيمات وردية".
أتتها ضحكته المتوترة عبر ستار ضبابي قضى على دفاعاتها:ـ"حبيبتي.. قولي لي إنكِ ما زلتِ على حبك لي.. اهمسي لي أنني كنت وسأظل دائماً حبيبك للأبد.. ثقي بي هذه المرة، وأعدك ألا تندمي أبداً".
تمتمت بصوت مخنوق من خلال دموعها:-" أنت فارسي من أول يوم.. وحتى اليوم.. وكل يوم في حياتي".
:ـ" نعم يا أميرتي..أنا سأكون دوماً فارسك وسأغمرك بحبي حتى تصرخين طالبة الاكتفاء".
:-"لن أفعل..أبداً..أبداً يا حبيبي..أتعرف أسوأ يوم في حياتي؟"
غمغم محرجاً:-" نعم.. يوم زفافنا".
هزت رأسها بانفعال:ـ" لا هناك الأسوأ.. يوم تركتني في الحفل".
ضمها بقوة ثم أبعدها ضاحكاً:-" أتعرفين ما هو أسوأ أيامي؟ يوم رأيتك في المهرجان.. آه حبيبتي كم تليق بكِ الأمومة. ولكن في ذلك اليوم أنقذت نفسي من الإعدام شنقاً، فقد كنت على وشك قتل (مهاب)، خاصة عندما رأيته معكما يلهو مع الطفل وينظر لكِ تلك النظرة التي تجعل الدماء تغلي في عروقي.. لم تركتني في اعتقادي أنكِ تزوجتِ؟"

:-" أنت تعرف".
:ـ" آه..لظنك أنني سأخدعك مرة أخرى؟ أضعنا الكثير من الوقت.. ما رأيك أن نبدأ فوراً في استعادة حياتنا الضائعة؟ سأتصل بمحامي الآن، لقد أوكلته ليقوم بإجراءات الطلاق ولكني لا أعرف إن كان سيرد على اتصالي في هذا الوقت المتأخر أم لا.. فأنا لم أتصل به منذ وقت طويل".
أمسك هاتفه وهو يرمقها بنظرات تواقة. أعاد الاتصال مراراً بمحاميه بإصرار تام على أن يرد عليه. زفر بإحباط عندما باءت كل محاولاته بالفشل. وفجأة طرأت بباله فكرة:ـ" سأتصل بزوجته".
شهقت بخجل:-" (فارس)...هذا لا يصح ربما في الصباح".
ضغط على زر الاتصال قائلاً:-" أنا لن أنتظر للصباح".
أشرقت ملامحه بابتسامة ملتوية هو يطلب من الزوجة الناعسة أن يحادث زوجها، وبعد مجادلة لفظية أغلق الهاتف وهو يحدق ب(جيدا) بدون تصديق:ـ" الغبي.. لم ينفذ أوامري.. هل تصدقين؟ كان يحاول الاتصال بي منذ شهور ليبلغني أن أوراق التوكيل تنقصها بعض الأختام، ولكنني لم أرد عليه".
اتسعت عينا (جيدا):-" أتعني أننا ما نزال..."
أومأ رأسه بشدة:ـ" نعم.. ما نزال زوجين يا حبيبتي. يبدو أن رابط زواجنا أقوي من كل العواصف التي اعترضت طرقنا منذ البداية يا زوجتي الحبيبة، وهذا يعني أمراً واحداً".
ردت بخنوع ووجهها المحمر خجلاً يندس في عنقه:ـ"نعم يا زوجي الحبيب".
دخل الغرفة ووضعها على الفراش برقة هامساً:-"لن تعرفي أبداً كم ليلة حلمت فيها بتلك اللحظة".
:-"وأنت لا تعرف أبداً كم ليلة حلمت فيها بك قبل أن أعرفك يا فارسي الضائع مني".

:-"حبيبتي.. أحبك.. للأبد.. هل تسمحين لي أن أحملك وأطير بك على ظهر جوادي لعالم لم يمر بخيالك البريء يوماً؟"

:-" نعم.. أسمح لك"..

تمت بحمد الله ...